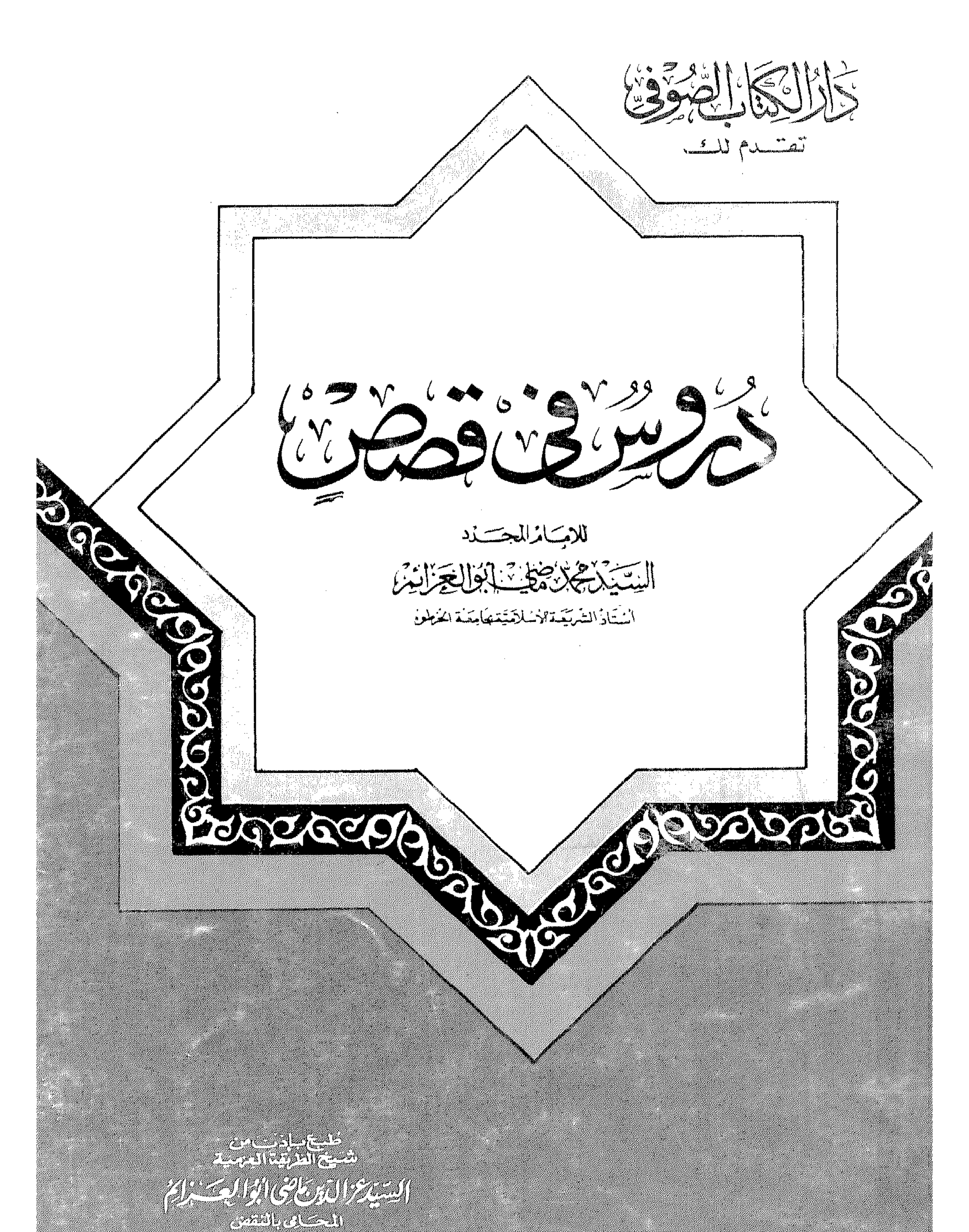

دار الكتاب الصوفي
تقدم لك
دروس في قصص
للإمام المجدد
السيد محمد ماضي أبو العزائم
أستاذ الشريعة الإسلامية بجامعة الخرطوم
طبع بإذن من
شيخ الطريقة العزمية
السيد عز الدين ماضي أبو العزائم
المحامي بالنقض



دار الكتاب الصوفي
تقدم لك

دروس في قصص

للإمام المجدد
السيد محمد ماضي أبو العزائم
أستاذ الشريعة الإسلامية بجامعة الخرطوم

طبع بإذن من
شيخ الطريقة العزمية
السيد عز الدين ماضي أبو العزائم
المحامي بالنقض



الطبعة الأولى

١٩٩٣ م ـ ١٤١٤ هـ



دروس في قصص



بسم الله الرحمن الرحيم

فاتحة الكتاب

الحمد لله من دَلَعَ لسانِ الصباح بنطق تَبلجُه ، وسَرَّح قطع الليل المظلم بغياهب تلجلجه، واتقن صنعَ الفَلَك الدوار فى مقادير تَبَّرجُه ، وشعشع ضياء الشمس بنور تأججه يامن دل على ذاته بذاته ، وتنزه عن مجانسة مخلوقاته ، وجل عن ملاءمة كيفياته .

والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله البهىّ ، السراج المضىء ، الكوكب الدرى ، العبد المؤيد ، الرسول المسُدَّدِ ، المصطفى الأمجد ، المحمود الأحمد . وعلى آله الناصرين المعنيين أولياء الدين ، المخلصين الأصفياء ، المطلوبين لكل طالب ، أصحاب المفاخر والمناقب ، أئمة المشارق والمغارب ، الذين حبهم فرض على الحاضر والغائب ، وعلى صحابته الهادين المهديين ورضى الله تبارك وتعالى عن الإمام المجدد السيد محمد ماضى أبى العزائم حجة الله على خلقه ، الوجيه عند الله ،علم الهدى ، الرفيع ذى الحسب المنيع ، العالم بالفرائض والسنن ، صاحب الجود والمنن . ونضر الله وجه خليفته الإمام الممتحن السيد أحمد ماضى أبى العزائم السيد الزاهد ، الإمام العابد الراكع الساجد ، زين المنابر والمساجد ، آمين آمين يارب العالمين .

وبعد فتقدم دار الكتاب الصوفى - احدى أوجه نشاط الطريقة العزمية الطبعة الأولى من كتاب " دروس فى قَصَصْ " للإمام المجدد السيد محمد ماضى أبى العزائم وهو يحوى اثنى عشر قصة قصيرة يقصها علينا الإمام المجدد رضى الله لنتعظ ونعتبر .

تاريخ القصة قبل الإسلام :

يرى الكثير من الباحثين والنقاد أن الشرق العربى هو مهد القصة ، فمصر القديمة فى نظرهم تعد المنبع الأول للقصة ، فبينما كان هذا الفن الأدبى مهملاً فى المجتمعات الأوربية والأجنبية ، كانت الشعوب المصرية والسامية فى عهود ما قبل التاريخ تتميز بوفرة الإنتاج القصصى .

ومما يؤيد ذلك الرأى قصة " إيزيس وأزوريس " التى تجسد الصراع بين الخير والشر وهى من الأساطير الفرعونية القديمة التى تجاوزت الآفاق وعرفها العالم .

فكان لقدامى المصرين قصب السبق في تجسيد تلك المعانى فى أعمالهم الأدبية . كذلك عرف البابليون والأشوريون القصة حيث نقل عنهم بعض الأساطير مثل " برج بابل " .

أما العرب قبل الإسلام فقد كان لهم فنونهم القصصية النابعة من بيئتهم ، والمصورة لحياتهم ومغامراتهم وبطولاتهم مثل " سيرة عنترة " ، التى تعد من أهم السير العربية وأشهرها .

القصة فى العصر الإسلامى :

ثم حاول الإسلام الذى أتى بالقرآن الكريم ، وكان قصصه دعامة للإقناع والدعاية ، وقص علينا أحسن القصص . والحقيقة أنه قصص رائع، أتقنت أحداثه وحبكته . ويشير المولى سبحانه وتعالى إلى ذلك فى سورة يوسف بقوله تعالى : ﴿ نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن وإن كنت من قبله لمن الغافلين ﴾ [1] .

ولقد ذكر القرآن الكريم العديد من القصص مثل : قصة سيدنا

(١) سورة يوسف آية ٣ .

يوسف ، وأهل الكهف ، وسيدنا سليمان ، وسيدنا موسى ، وملكة سبأ ، وغيرها من القصص ويرى الباحثون المتخصصين أن القرآن الكريم قد جمع المذاهب المختلفة فى الفن القصصى ، والتى يتشدق بها نقاد الغرب، ويزعمون أنها تجارتهم التى صدروها إلى الأمم الأخرى ، وأخذها عنهم الأدباء فى العالم العربى .

فللقصص القرآنى قصب السبق فى تحديد معالم الكثير من المذاهب الأدبية .

ففى القصص القرآنى نلمس خصائص وسمات المدارس الكلاسيكية والرومانسية والواقعية والرمزية .

فالقصص القرآنى يتسم بفطامية الشخصيات ، فأبطاله من الأنبياء والرسل والملوك ، وهذه سمة المدرسة الكلاسيكية . والقصص القرآنى يتميز بتطور الشخصية ونموها ، وهذه خاصية من خصائص المدرسة الرومانسية . والقصص القرآنى يجمع بين أحداثه لونين من المستوى فى ، المعنى ، ونعنى بهما عالم الواقع الملموس ، ومستوى عالم ما وراء الواقع، وإزدواجية المعنى من سمات المدرسة الرمزية والقصص القرآنى يهدف بالدرجة الأولى إلى الحياة الكريمة للشعوب ، وهذه خاصية من خصائص المدرسة الواقعية .

أما في العصر الأموى فقد اشتهرت بعض القصص مثل روايات كتاب الأغانى للأصفهانى .. وكذلك تفجرت ينابيع أخرى فى العصر العباسى بعضها مترجم مثل " قصة كليلة ودمنه " التى ترجمها " ابن المقفع " عن اللغة البهلوية .

وفى ميدان التأليف ، كتب الجاحظ " البخلاء " بأسلوب يجمع بعض خصائص القصة ، ومن أهمها خاصية الحكاية .. وكذلك اشتهرت قصص " ألف ليلة وليلة " ، التى تمثل سفراً عظيماً جمع العديد من فنون القصص .

فن القصة فى العصر الحديث :

قال بعض الباحثين : بأن فن القصة فى العالم العربى فى العصر الحديث فن مستحدث ، نقلته إلينا الترجمة والاتصال بالآداب الغربية ، ويدللون على ذلك بأن معظم من كتبوا القصة العربية فى العصر الحديث كانوا متأثرين أو ناقلين مقتبسين للقصة الغربية . ورد عليهم باحثون آخرون ببيان أثر الأدب الغربى وخاصة أدب القصة على الآداب الغربية ، وعقد بعض الباحثين دراسة مقارنة لبعض الأعمال القصصية العربية وتأثيرها فى الآداب الأوربية مثل ألف ليلة وليلة والمقامات ، وقصة حى بن يقظان وغيرها .

ميلاد القصة القصيرة ونشأتها :

قرر بعض الدارسين على سبيل الجزم أن القصة القصيرة بصورتها الفنية فى الأدب الحديث ، قد أخذت عن أدب الغرب ، ولم تنحدر من التراث أو تتطور عن فن عربى مشابه . والذى دعاهم إلى ذلك الرأى هو أن كتاب القصة القصيرة فى عالمنا العربى كانوا من ذوى الثقافة الأدبية الأوربية وكان أوائلهم بصفة خاصة على صلة قوية بالأدب القصصى الفرنسى أمثال : " محمد تيمور - عيسى عبيد - شحاته عبيد - محمود تيمور ... إلخ " حيث استلهم هؤلاء أدب القصاص الفرنسيين أمثال : "موبا سان - بلزاك - زولا " وها هو محمود تيمور يعبر عن شغفه وفتنته بالقصاص الفرنسى "موبا سان " فيقول : " ما كدت أقرأ له حتى فتنت به ، ومازلت محتفظاً لموبا سان بالمكان الأول فى نفسى ، فهو عندى زعيم الأقصوصة الأكبر " ، حيث فتن به هو وشقيقه محمد تيمور اللذين

اعتبرا أن مولد القصة القصيرة بصورتها الفنية كان على يديه حين أذاع قصته " فى القطار " سنة ١٩١٧ م .

وإن كان لنا رأى آخر سنبينه بعد قليل

وذكر الباحثون أيضاً : أن هناك محاولات غير كاملة سبقت ذلك فى مجال القصة القصيرة على يد كل من " عبد الله نديم - خليل مطران - منصور فهمى - المويلحى - المنفلوطى .. الخ " .

خصائص القصة القصيرة :

تتميز القصة القصيرة عن الرواية بأنها تنحصر فى موقف محدد ، أو تصور لحظة معينة ، ينفعل بها الكاتب ، ويعبر عنها فى حادث موحد . فالموقف هو الموضوع الغالب على القصة القصيرة ، بينما رسم الشخصية هو الموضوع الغالب على الرواية . فحسب كاتب القصة القصيرة الناجحة أن يصور الفكرة الواحدة فى قصته ، لا مجموعة من الأفكار مهما يكن بينهما من ارتباط كما هو الشأن فى القصة الطويلة ، فالقصة القصيرة تفضل أقل عدد ممكن من الشخصيات خلافاً للرواية حيث يكثر الأشخاص . ونستطيع أن نجمل خصائص القصة القصيرة فى كلمتين : الوحدة والتركيز ، فالوحدة فى الحادث والغرض والموقف . والتركيز يكون فى كل شىء ، وهو أهم مميز للقصة القصيرة .

الإمام المجدد أبو العزائم عميد الأدب الإسلامى :

لقد أثبتت الرسائل العلمية من " ماجستير - دكتوراة " التى أخذت فى أدب الإمام المجدد أبى العزائم رضى الله عنه ذلك ، وسوف تسهم الدراسات المتتالية فى أدبه فى تدعيم ذلك الرأى وتأكيده .

فالإمام المجدد السيد محمد ماضى أبو العزائم له نظرياته الأدبية الجديدة ، وله إسهاماته الشاملة فى كل مجالات الأدب العربى الإسلامى، والتى سبق به جميع من عاصروه من الأدباء والمفكرين " من شعراء - قصاص - بلغاء - مسرحيين وغيرهم " .

وللإمام المجدد رضى الله عنه رأى خاص وجديد فى مفهوم الأدب والأديب يقول فيه : " لا أستطيع أن أقول أن ابنى أديب أو مؤدب لمجرد أنه حفظ المنظوم والمنثور والبلاغة من كلام الغرب ، فالقرآن الكريم قد تحدى بلاغتهم فشهدوا بأنه مغدق ، وأنه ليس بقول البشر . ولكن الأديب حقاً من تأدب بآداب القرآن وتخلق بأخلاقه ، واقتدى برسوله ، واهتدى بخلفائه ، وزكى نفسه ، وطهر قلبه ، وصدق رسول الله ﷺ حين قال : " أدبنى ربى فأحسن تأديبى " هذا هو الأدب وهذا هو الأديب بحق .

ولقد سرت هذه النظرية فى الأدب فى كل أدب الإمام المجدد أبى العزائم " نثراً ونظماً " وفى كافة الفنون الأدبية التى قدمها " من مسرح - قصة - مواجيد - شعر صوفى " . والإمام المجدد سبق غيره فى مجال المسرح والقصة والمواجيد النظمية ..

ففى مجال المسرح .. أملى الإمام المجدد مسرحية محكمة الصلح الكبرى سنة ١٩١٩ م تلك المسرحية التى تناولتها رسالة دكتوارة قدمت لجامعة الأزهر بعنوان " النثر الصوفى عند كتاب مصر المحدثين من ١٩٠٠ - ١٩٤٠ " فذكرت أن هذه المسرحية أعظم ما كتب فى النثر الصوفى منذ كُتبت اللغة العربية إلى الآن .

والإمام المجدد أبو العزائم رائد القصة القصيرة فى عالمنا العربى الإسلامى بلا ريب وها هى مجموعة قصصه القصيرة التى نقدمها لك تشهد بذلك .. فلقد سبق الإمام المجدد الآخرين من كتاب القصة القصيرة زمنياً حيث بدأ فى نشر هذه القصص بمجلة "السعادة الأبدية"

التى كان يصدرها منذ عام " ١٩٠٠ إلى ١٩١٥ م " . ولو أن الباحثين والدارسين بذلو مزيداً من البحث والدراسة ، واطلعوا على قصص الإمام المجدد التى نشرت بمجلة " السعادة الأبدية " والتى نقدمها اليوم بين دفتى هذا الكتاب لشهدوا بذلك . فهو رضى الله عنه قد سبق زمنياً كل من يسمى برواد أو كتاب القصة القصيرة الذين ذكرناهم آنفا .

ثم تميز الإمام المجدد أبو العزائم بشىء هام ، وهو عدم تأثره بالنهج الغربى فى القصة القصيرة ، كما تأثر غيره . لأنه المجدد .. والمجدد يؤثر ولا يتأثر .. يغير ولا يتغير فهو المنوط به أن يجدد للأمة أمر دينها كما جاء بنص الحديث الشريف " وهو رضى الله عنه يؤكد ذلك المبدأ صراحة فى كتابه " النور المبين لعلوم اليقين ونيل السعادتين " ص ١٢٦ فيقول : (لقد رأيت أكثر أهل زمانى هذا قد تركوا آداب الدين وفضائله وراء ظهورهم ، وعلوم العلماء المدونة فى كتبهم هجروها ، والتفتوا إلى القشور التى وضعها الفرنج مما نسخوه أو مسخوه من كتب سلفنا الصالح، ورأيت إعجاب أهل زمانى بآداب بنى الأصفر وشعرهم وغلومهم ، ولو أنهم إطلعوا على علوم آبائهم وآداب آسلافهم وحكمة أجدادهم ، والكنوز الخفية التى كنزها لنا إخواننا الذين سبقونا بالإيمان لميزوا بين الثرى والثريا و وبين الحق والباطل .

فالإمام المجدد جامعة إسلامية شاملة وكاملة ووسطية وتجديدية وعالمية.. فدوره أن يستنبط من القرآن والسنة الدواء والعلاج المناسب لروح العصر .

وفى هذا الكتاب الذى نقدمه للقارىء المسلم ، بل نقدمه للإنسان أينما كان ، وهى مجموعة من القصص القصيرة التى تعالج الكثير من الأزمات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وغيرها بمنهج إسلامى راق ، وبفكر وذوق أدبى رائع ، جمع فيه كل المدارس الأدبية فى هذا المجال ، بل وسبق فيه .

وقد اتجه الإمام للأسلوب الرمزى للتعبير فى عرض هذه المشكلات والأزمات وحلولها من خلال هذه المجموعة من القصص القصيرة .. والإمام المجدد يعتبر هذه القصص دروس عامة لضرب الأمثلة للحقيقة ، تلك الأمثلة التى كانت تنفذ إلى سويداء القلوب ، ويحدب عليها الخيال فلا تغيب عن بال . مُثل كانت له رضى الله عنه فى قالب روائى لا تغيب عن الذهن ، ولا يعقبها النسيان ، ولا يتطرق إليها الوهن .

لذلك قدمنا للقارىء تعليقاً على كل قصة قصيرة من هذا الكتاب نحاول فيه علي قدر فهمنا لاعلى قدر كلام الإمام المجدد .. أن نكشف للقارىء بعضاً من معالجات الإمام المجدد لقضايا محلية أو عالمية "اجتماعية - أقتصادية - سياسية" ونحن ندعو الباحثين والدارسين إلى مزيد من البحث والدراسة فى فكر الإمام المجدد وأدبه الإسلامى .. الذى يعتبر بما قدمه فى كل فنون الأدب كما ذكرنا عميداً للأدب الإسلامى بلا جدال .. فرضى الله عن الإمام المجدد ونسأل المولى العلى القدير أن ينفع الأمة بأدبه وفكره الإسلامى المستلهم من كتاب الله وهدى سيدنا رسول الله ﷺ وآله .

دار الكتاب الصوفى
فى يوم الاثنين
غرة محرم ١٤١٤ هـ
١٩٩٣/٦/٢١ م

شيخ الطريقة العزمية
السـيد عز الدين ماضى أبو العزائم
المحامى بالنقض

الناسك والمخترع

كان وديع بن رافع فى جامعة العلوم والفنون ببغداد بقسم علوم النفس ، فكان يميل بفطرته لمذهب السلف الصالح ، لصفاء جوهر نفسه ولعلمه بقدر الدنيا : فكان يصرف أوقات الفراغ فى زيارة الزهاد ، والعباد، والعلماء بالله تعالى، وكانوا كثيرين، تقف على أبوابهم الأمراء والوزراء والعلماء، لأن التربية كانت موجبة لتزكية النفوس، جامعة للقلوب إلى علام الغيوب.

وكان له صديق فى قسم الفنون والصناعات والحكمة اسمه رقيع، صحبه من صغره، فنشأ وديع ناسكا حريصا علي تزكية نفسه، آنسا بالوحدة، نافراً من الخلق، راغبا فى الحق، ونشأ رقيع ميالا للبحث فى خواص الكائنات، حتي برع فى علم الطبيعيات، وفنون الكيمياء، والصيدلة، والطب، وخطأ كثيرا من اليونانيين والفرس والرومان، وأخذ يحكم بعد التجربة والامتحان، حتى اخترع فى الطب والصناعات ما نفع به العالم أجمع، وصارت له شهرة فى عالم الصناعات والفنون، وازدحم على أبوابه العلماء، والصناع والتجار.

وفى يوم خرج للنزهة فى البادية، فمر على صومعة على عين، فنزل تحت شجرة، وسأل عن الذى فى هذه الصومعة راغبا فى زيارته، فأخبر أنه ناسك، له زمن طويل فى هذه الصومعة، فرغب فيه ليُرَوِّح نفسه من عناء الأعمال، وقام فدق باب الصومعة أكثر من ساعة فلم يجبه أحد، فلزم الباب وزادت رغبته ، وبعد زمن سمع قائلا يقول :

الناسك وديع ، أضعت أنفاسا هى فوق النفائس، ماذا تريده منى أوترويه عني ؟

المخترع رقيع ، اسمح لى بزيارتك، لأنتفع برؤيتك، وأشكر نعمة الله عليَّ بالعقل، ومنته عليَّ بنفع عباده .

ففتح وديع باب الصومعة .

الناسك وديع ، ادخل منفرداً وقدِّم التوبة، وأسرع بالأوبة، فالأنفاس مراحل العمر، والسعيد من عمرّها بالطاعة، والشقى من أضاعها فى معاصيه سبحانه .

المخترع رقيع ، سمعت كلام الناسك، فاقشعر جلدى، وذرفت عيناى، وخشعت تعظيما له، ودخلت واجلا، فرأيت ملكا فى هيكل إنسانى، ونجما مشرقا فى جسم آدمى، وإذا به رجل في الخمسين من عمره، أصفر اللون، أبيض الشفتين، غائر العينين، كثُّ اللحية، ذقنه ملتصقة بصدره وما وقع بصرى عليه إلا وخرس اللسان، وصغرت الدنيا فى نظرى، ونسيت مخترعاتى، وما حصلته من المال والشهرة والثياب، وتذكرت هول الموت وما بعده .

وعلمت أن الناسك زهد فى نعيم يزول وخير يفنى، وملاذ هو والحيوان فيها سواء، مسارعا إلى نعيم يبقى، ومسرات دائمة، ونجاة من هول لابد منه للإنسان إن لم يفر من الوقوع فيه.

فلما رآنى الناسك قال بسرعة: ألست رقيعاً ؟ فخشع قلبى هيبة وقلت: بلى يا سيدى، فقال وديع لرقيع أتذكر كذا وكذا ؟ .

فعظمت حيرتى، واحتقرت الدنيا وما فيها، ومن فيها، بعد أن كنت أرانى بلغت بمخترعاتى مقاماً عند الملوك، ومنزلة عند العالَم أجمع لم يبلغها أحد، وأيقنت أن كل علو فى الدنيا وشهرة ومكانة لا بقاء لها، وأن كل المخترعات والصناعات إنما هى نتائج تمرين الأعضاء، وأبحاث العقول، وأن فوائدها تعود على الأجسام. وربما أضر المخترع العالم أجمع بما اخترعه، كمخترع الآلات الجهنمية، وكالمتفنن فى أنواع الخمر، وكمخترع الأزياء والأثاثات والأوانى التى تعين على شهوة الأكل والشرب والنكاح. وكمخترع التلغرافات اللاسلكية، فإنها كشفت عورات بعض المجتمعات الإنسانية الآمنة الراضية عن الله، لأهل القوة

والطمع الساعين فى الأرض بالفساد والقهر.

وقف رقيع يحاسب نفسه بعد أن كان يرى نفسه أسعد الناس فى عصره، وأرفعهم قدراً . قوى عامل الفكر به حتى علم كم أضر مجتمعات، وكم شغل الحس بالآلات التى اخترعها، المنبهة للشهوات، وكم أفسد آدابا وأخلاقاً، فإن الإنسان قبل تلك المخترعات كان فى أمن من الشرور العامة .

بكى رقيع بكاء شديدا، وأحنى ظهره أمام الناسك قائلا: أتقبلنى خادما لك؟ عسى اللّه أن يتوب على فأنال قسطا مما فزت به، فقد أضعت عمرى باحثاً فيما أصلح به المادة، لينتفع الإنسان بها، وغفلت عن تربية نفسي وتزكيتها، فجعلت من الحديد آلة تدفع الجسم بقوة تمزق الحجر لو قابلها، وسميتها المسكتة (البندقية) فاستعملها الظلمة للانتقام، والجبابرة للاستيلاء على الأمم ، وكم اخترعت آلات وأدوات كلها لمضرة بنى الإنسان، وعلا بكاؤه قائلا: هل لى يا سيدى من توبة؟ هل ترضانى لك عبداً؟ فلما سمع من معه خارج الصومعة بكاءه، أكبروا الأمر وقالوا: كيف يبكى من يتملق الأمراء بين يديه أمام هذا الناسك المهان، الذى لم ينفع الناس بشىء؟ ولبلادته وجهله هرب من الناس إلى هذا المكان، وهموا بقتل الناسك شفقة على رقيع .

فلما فتحوا باب الصومعة ووقع نظرهم على الناسك ارتجفت قلوبهم مما كوشفت به تلك القلوب .

مواضع العبرة والعظة فى هذه القصة

يكشف الإمام المجدد أبو العزائم رضى الله عنه فى قصة (الناسك والمخترع) .. الفروق الجوهرية بين الحضارة الإسلامية والمدنية الغربية .. ويبين من خلالها أن المدنية الغربية المزيفة قد أودت بالعالم إلى أزمة كبيرة لاخلاص منها إلا بالرجوع إلى أنوار الإسلام وإشراقاته وحضارته .

فالناسك ، (وديع بن رافع) فى هذه القصة رمز للأمة الإسلامية التى أكرمها

المولى بأشرف العلوم وأجلها وهو معرفة الله والعلم به سبحانه وبأيامه وبأحكامه وبحكمة أحكامه .. فجملها ذلك العلم بالعقيدة الحقة والعبادة الخالصة والمعاملة الحسنة والأخلاق الفاضلة وسرى ذلك النور من الأمة الإسلامية إلى الأمم المختلفة الأخلاق والأنساب والعادات ، فجعلها تمتزج بعضها ببعض ، وتتجنس بجنس واحد هو الإسلام ، وكان المسلمون كجسم واحد موصل جيد التوصيل للحضارة

وأما المخترع ، (رقيع) فهو رمز للغرب وحضارته الوحشية الهمجية ، الذى برع فى علوم الكونيات التى أشار إليها القرآن الكريم فى قوله تعالى : ﴿ يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون ﴾ .

ذلك العلم الذى اغتر به الغرب فاستخدمه فى ضرر العالم باختراع أسلحة الدمار (نووية - كيماوية - بيولوجية) .. بل وأدى بالغرب إلى الإلحاد ونسبة الولد له تنزه سبحانه ، بالإعتقاد بألوهية عيسى بن مريم أو بنوته لله رب العالمين ..

وما ذكره الإمام المجدد أبو العزائم وكشفه مبكراً فى قصة (الناسك والمخترع) تحدث عنه الفيلسوف الفرنسى رجاء جارودى مؤخراً حين قال : (إن المفهوم الغربى الذى يعتمد على التكنيك للتكنيك ، والعلم للعلم سيؤدى إلى العدم ، وأن الحياة من أجل لا شيء هى انتحار بطيء ، وأن هذا كله يأتى من نسيان تبعية الأساليب ونسيان الأبعاد الروحية للحياة . وقال جارودى أيضاً : (إن الحضارة الغربية حالياً فى سبيلها إلى الموت ، لا لأنها تفتقد الأساليب ، ولكن لأنها تفتقر إلى الغايات) . وهذا ما سبق إليه الإمام المجدد فى قصة الناسك والمخترع .. وما وضعه من حلول حيث أكد على ضرورة عودة المخترع إلى رحاب الناسك .

السياسى والحكيم والغشيم

السياسة : تدبير المنزل والمدن والمملكة، مأخوذة من ساس يسوس سياسة، أى أصلح إدارة المنزل أو المدينة أو المملكة، لجلب المنافع ودفع المضرات، مع رعاية الرحمة العامة بالمجتمع الإنسانى .

فإن خرجت السياسة عن أصلها، كانت ظلما وجوراً وكيداً، ومثال السياسة الحقة ما فعله الصديق يوسف عليه السلام مع إخوته، من أخذ أخيه منهم لينالوا الخير العام فى المستقبل . وعمل تلك التدابير لنيل الخير مع الإخلاص سياسة، وقد مدحه الله عليها فقال : ﴿وفوق كل ذى علم عليم﴾[(١)] .

وأما ما يسميه الناس الآن سياسة فهو كسياسة القط مع الفأر، أعاذنا الله وإخواننا منها .

الحكمة : هى وضع الشىء فى محله، واستعمال كل شىء فيما وضع له، مع رعاية الشريعة المطهرة .

الغشم ، التسليم من غير روية ولا نظر.

الغشيم ، بين أبنائه وحفدته وأقاربه، فى مزارعه ومصانعه وأسواق تجارته، فى هناء وصفاء .

السياسى ، نظر إلى نفسه وأبنائه وأقاربه نظرة إعجاب ، فكره أن يعملوا عملا نافعا لغيرهم، وأحب أن يتسيطر بالقوة القاهرة على الغشيم ومن معه، وكان عند الغشيم رجل حكيم .

السياسى ، جمع الجيش وهجم على الغشيم .

الحكيم ، رأى الغشيم خرج من غير تدبير ليقابل السياسى فمنعه وقال: دعهم يدخلون البلاد واجمع قومك وأعد العدة حتى إذا فرحوا بالنصرة وملكوا بعض القرى أمكنك أن تحصن قومك وبلادك، وترسم طريقة حكيمة تستأصل بها هذا الجيش الظالم.

---

(١) سورة يوسف آية ٧٦ .

الغشيم ، سلم له وأقامه إماما .
الحكيم ، أمر بإخلاء القرى أمام العدو .
السياسى ، تيقن النصرة وأمن جانب الغشيم .
الحكيم ، أنزل قومه فى مكان محصن، ثم أمر بالسلاح فحمل وأقام أهل الرأى قوادا ، وأمرهم بالصبر حتى يصدر أمره، ورسم المناورة بروية، فأرسل قسما خلف جيش السياسى من طريق مجهول، وأبقى قسما داخل البلد، وجعل قسما جناحا أيمن، وقسما جناحا أيسر، ثم أرسل الطلائع وأمرهم بالهزيمة أمام الجيش.
السياسى ، فرح جداً وأمر الجيش بالتقدم من غير روية، معتقداً أنه تمكن من عدوه، فأبعد فى داخل البلاد، معتقدا تحصيل ضروريات الجيش من البلاد، فتفرّق جيشه من السرعة والبطء فرحا بالغنائم .
الحكيم ، انتهز تلك الفرصة، وأمر الجناحين والقسم الذى خلف العدو أن يلتقوا فى نقطة كذا .
السياسى ، لم يشعر إلا وقد أحاطت به الجنود فلم يجد له نجاة إلا بالهزيمة أمامه، معتقدا عدم القوة الاحتياطية، فهلك أكثر جيشه، ولما أن وصل إلى داخل البلاد، قابله الجيش الاحتياطى فأسر البقية، وبعد ذلك اصطلحوا على شروط مخصوصة .
الغشيم ، علم أن هذا الفوز باتباع الحكيم، فأمر قومه أن يحافظوا على أوامر الحكيم ليدوم لهم الملك والمجد .
السياسى ، رجع حزينا واعتقد أن الغشيم مادام مقتديا بهذا الحكيم لا يمكن أن يتمكن منه، فجمع قومه وطلب أن يكيدوا معه للغشيم كيدا يخرجونه عن اتباع الحكيم، ليتمكنوا منه، ويجعلوا الجميع عبيدا له، فحضر معه إبليس فى صورة إنسان، وقال : الرأى عندى أن ترسلوا لهم ما يفسد عقولهم، ويضر صحتهم، ويضيع أموالهم، وبذلك يخالفون الحكيم فنملكهم. فسألوه : ماهى تلك الأشياء؟ وما الطريق فى انتشارها

بينهم؟ فقال: أما مايزيل العقل فالخمر والحشيش والبنج.

وأما ما يفسد الصحة فالعاهرات خصوصا المريضات بالزهرى، وأما ما يضيع المال فانتشار الربا، ولهذه الأشياء رابع لابد منه، وهو التفرقة بينهم .

السياسى (سأله) من أنت ؟ .

إبليس : أنا العدو اللدود للغشيم .

السياسى : لم عاديته ؟

إبليس : إنه أطاع عدوى الحكيم ، فأمره بالمخالفة بعد أن كانوا جميعا عبيدا لى .

السياسى :كيف نتمكن من انتشار تلك المفاسد بينهم؟ .

إبليس : ترسل أولا تلك المفاسد إلى كبرائهم، فإذا تمكنوا من الكبراء قلدهم الأتباع، والأمير إذا فعل قبيحاً لا ينكر عليه، ولا يقدر أن يمنع من ارتكبه .

السياسى ، أرسل تلك الأنواع المضرة فى طريق الخفاء، فأرسل نساء عاهرات بآلات الطرب ومعهن الخمر إلى الحكام، فانتشرت تلك المضار بسرعة حتى تناسى الناس وصايا الحكيم .

السياسى ، أرسل رجالا من أهل الخبث يحملون تلك الأشياء فى الأسواق لتباع علناً، بعد أن يقدم كل واحد منهم هدية لحاكم المدينة التى يحل فيها، ويتردد عليه صباح مساء ليعلم أهل المدينة أنه محسوب الحاكم .

آثار الحكيم ، كان فى المدينة تلاميذ للحكيم، فصاحوا صيحة النصيحة ، فأصغى إليهم أهل التسليم وقالوا: هذا يخالف وصايا الحكيم فيجب مصادرته ورد الحاملين له .

وفود السياسى ، الحاملون للشرور - أسرع كل واحد منهم إلى الحاكم فى مدينته، وقالوا له : كيف يصفو لك الملك وفى المدينة حزب

يسعى فى سلب الملك ويعصب عليك قومك؟! فتدارك الأمر واقتلهم شر قتلة .

الغشيم ، قبل منهم الكلام، وعظم عليه الأمر، فأرسل للحكام المشتركين معه فى حب تلك المضار، أن يسجنوا من تظاهر ضد الرؤساء، فقبضوا على تلاميذ الحكيم واعتقلوهم .

وفود السياسى ، تمكنوا من القوم فأزالوا عقولهم، وأضروا أبدانهم، وأضاعوا أموالهم وعقاراتهم، حتى بلغ من جنونهم أنهم اعتقدوا أن السياسى ورجاله أرحم بهم من والديهم .

الغشيم وقومه ، تفرقوا حتى صاروا يمدحون السياسى بما قام به لهم من المصالح والإصلاح، ويذم بعضهم بعضا وهم فى هاوية الذل لا يشعرون بمكايد السياسة .

السياسي ، لم يرض بإفساد العقول، ولا بضعف الأجسام، ولا بتحصيل الأموال، ولكنه سعى لمحوَ الدين والأخلاق، فجمع العقلاء لهذا الغرض، فجاء إبليس وجلس معه ،فرجعوا إليه، فأمرهم بأن يبذلوا المال للغشماء الجهلاء من أعدائهم، ويخرجوهم من الدين، ويجعلوهم آلة فى ذم دينهم بين قومهم ومدح غيره، ويظهروا أن الذى يخرج من الدين ينال المال الكثير والجاه، ثم نشروا بين القوم زخارف الأباطيل، وأكاذيب الأضاليل، وأظهروا أنفسهم بأنهم رحماء بالحيوانات وبالمرضى، ليسلبوا عقول البسطاء بغرورهم، فتمكنوا من إضلال رجال من أهل دينهم ، فادعوا أنهم من دين الأمة وأنهم ارتدوا عنه ، ونشروا المفاسد والأكاذيب فلم يرق ذلك عند الأمة ، ولكنهم لما أصابهم من ضرر المفاسد المنتشرة بينهم، لم يتمكنوا من دفع هذا الشر، لأن السياسى استولى على الأسلحة والأمتعة .

القوى القهار خالق السموات والأرض غضب على السياسى وقومه، لأنه لم يرضهم أن يقهروا عباده، ويفسدوا بلاده، بل قاموا فكذبوه، وكذبوا رسوله ﷺ، فغار لدينه غيرة منتقم قهار، فأوقع نار الحرب الانتقامية بينهم، ونظر إلى عباده نظرة حنان، وأيقظ قلوبهم إلى وصايا الحكيم .

الغشيم ، تذكر مجده وملكَه، وبحث بروية كيف نال هذا الملك، وبأى شىء سلب منه ؟!. فتحقق أنه ماقهر السياسى قومه وتسلط عليه إلا بإهمال المحافظة على وصايا الحكيم، ومازال مجده وملكه وسلطانه إلا بترك وصايا الحكيم، فأطلق تلاميذ الحكيم من السجون، وجلس بين أيديهم ذليلا يبكي ويتوب إلي الله، وطلب منهم أن يغيروا كل ما خالف وصايا الحكيم، وأن يعيدوا الأمر إلى الماضى الذى وضعه الحكيم، فعرضوا كل شىء فى المملكة على القرآن والسنة، ومحوا أنواع الشرور كلها، وقامت الأمة من نومة الغفلة ورقدة الجهالة .

السياسى ، جمع عقلاء جميع مملكته ليتدارك الأمر، فجاء إبليس فقالوا: ماذا ترى؟ فقال: لا رأى لى، أعداؤكم رجعوا إلى القوى القهار، الحكم العدل، الذى يهب الملك لمن يشاء، وينزع الملك ممن يشاء، ويعز من يشاء، ويذل من يشاء، ولطم على وجهه، ونتف لحيته، وفر يدعو بالويل والثبور .

. تلاميذ الحكيم انتشروا بين قومهم فقام فى كل بلد حكيم أو صورة للحكيم، وكأن لسان حال الأمة ينادى:

إنا لنرخص يوم الروع أنفسنا
وإن نسام بها فى الأمن أغلينا

إن تبتدر غاية يوما لمكرمة
تلق السوابق منا والمصلينا

وصار كل فرد منهم هو المعنى بقول الشاعر:

ويارب يوم ذوب الغش ناره
فلم يبق إلا صارم أو ضارم
وقفت وما فى الموت شك لواقف
كأنك فى جفن الردى وهو نائم
تمر بك الأبطال كلمى هزيمة
ووجهك وضاح وثغرك باسم

وصار كل فرد منهم حكيماً ؛ لأنه اتبع الحكيم الأكبر ﷺ ، فاستخلفهم اللّه فى الأرض ، ومكن لهم دينهم الذى ارتضى لهم ، فساسوا العالم أجمع بالعدل والرحمة ، ومحا الله الظلم وأهله ،والعاقبة للمتقين .

مواضع العبرة والعزة فى هذه القصة

فى قصة (السياسى والحكيم والغشيم) يشخص الإمام المجدد أبو العزائم قدس الله سره أزمة الأمة الإسلامية تشخيصاً شاملاً ودقيقاً وكاملاً .

فالسياسى ، فى هذه القصة رمز لأعداء الإسلام من الأوربيين والأمريكان وغيرهم ، الذين يستطيعون بدهائهم ومكرهم وخداعهم إفساد أحوال المسلمين من حكام وعلماء وشعوب .. ويقيمون أنظمة ديكتاتورية متسلطة عن طريق إنقلابات عسكرية لمنع الحرية عن المجتمعات الإسلامية ، لأنهم يعلمون أن المسلمين إذا أعطوا الحرية الحقة عادت لهم حضارتهم ودولتهم وقوتهم ... وهم يفسدون حكام السوء فى البلاد الإسلامية وكذلك الشعوب عن طريق الخمور والمخدرات وأماكن اللهو والعهارة وإفساد التعليم ونظمه ونشر البنوك الربوية ، والسياحة والعرى وإقامة

أحزاب سياسية هلامية تتناحر فيما بينها على مصالحها الشخصية ، وتتنكر لمصلحة الأمة ... وهذه وسائل برع فيها الأنجليز قديماً .. والأمريكان حديثاً ، يدعمهم فى ذلك اليهود من وراء حجاب

وأما الحكيم ، فهو رمز للعالم الربانى ، والعارف الروحانى ، والوارث المحمدى الذى يجدد للأمة أمر دينها ، والذى يحزنه حال الأمة المتردى بسبب حماقة الحاكم (الغشيم) وتسليمه لأعداء الأمة ، فيقف موقف الناصح للحاكم (الغشيم)، ويحذره من دسائس أعداء الأمة ومكائدهم وشعاراتهم ومعاهداتهم وصلحهم ووعودهم الكاذبة .

أما الغشيم ، فهو رمز (لحكام السوء) .. الذين يسلمون للأعداء من غير فكر ولا روية ولا وعى ، وتدعوهم حماقتهم وجهالتهم إلى معاداة المصلحين ، ومعاداة العلماء العاملين ، وينخدعون بأقوال أعداء الأمة ، ويصدقون وعودهم الكاذبة ، وسلامهم الخادع ، وحديثهم الماكر عن حقوق الإنسان ، والشرعية الدولية ، والنظام العالمي .. وكل هم الحاكم (الغشيم) ، هو الحفاظ على كرسى الحكم ، ولو بموالاة الأعداء ، ومعاداة الحكماء !!

وكأنى بالإمام المجدد أبي العزائم يختصر التاريخ السياسى للأمة الإسلامية ، ويكشف أمراض الأمة فى أمسها ويومها باقتدار واختصار ! !

وما زالت أمة الإسلام تعانى حتى الآن من السياسى الغربى (الأمريكى والإنجليزى .. إلخ) ، وتعانى من " الغشيم " أى حكام السوء المتصدرين للسلطة ، ولا علاج لهذه الأمة إلا بالتلقى من الحكيم إن أرادت عودة مجدها ودوام عزها.

ريانة الشرقاوية .. وزبيدة المصرية ..

تربت ريانة الشرقاوية فى قرية ، ووالدها اعتنى بتربيتها فحفظت القرآن واعتادت الصلوات الخمس مع والدها ، وسمعت أحاديث العفة والآداب والخير الذى ينالها المحافظ عليهما ، فكانت تستحى أن تنظر إلى وجه أبيها ، أو أخيها ، أو أن تخلع ثيابها فى خلوة ؛ خوفاً من أن الملائكة تراها ، بلغت العشرين من سنها على هذا الاعتقاد .

واتفق أن تزوجت زبيدة المصرية بعمدة القرية ، وكانت كل بنات القرية أشبه بريانة عفافاً وصوناً ، فلما حضرت العروس توجه السيدات لاستقبالها ، وتوجهت ريانة لزيارة زبيدة .

ريانة ، دخلت الحجرة على زبيدة ، فلما رأتها ظنتها شاباً؟ أفرنكيا لافاً شعره على رأسه ، لابساً ثوباً إلى نصف ساقيه وإلى كتفيه، فصاحت ووقعت على الأرض مغشيا عليها ، لظنها أنها أضاعت العفاف والصون والعوائد الإسلامية بالنظر إلى الخواجة .

فقامت زبيدة وظنت أنها مصروعة فرشت على وجهها ماءً فلما أفاقت نظرت إلى زبيدة فتمثلتها عفريتاً وصاحت : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، وقامت مسرعة إلى بيتها وجلدها يقشعر وهى تقول : العفريت العفريت ، ومرضت فجاءت زبيدة لعيادتها .

زبيدة ، علمت بالحادثة وأسبابها ، وتصورت ما كان عليه آباؤها من قبل ، ومقدار الحياء عندهم ، وحرصهم على العفاف ، كيف انمحى كل هذا الشرف والغيرة ، وحل محلهما التبرج وإظهار العورات! ، وتمثلت تلك المصائب فبكت، وبينما هى كذلك وإذا بزوجها يكلفها بمقابلة والده فتوجهت معه حتى دخلت حجرة جميلة بها شيخ وشيخة ـ وأمامهما أمه بيدها مبخرة تبخر الحجرة ـ فلما رأياها التفت الرجل مغضباً

وغمض عينيه ، وصاحت أمه قائلة : يا شيطان ، تدخل علينا الخواجة . وخرجت من الحجرة بسرعة ، ودخلت فى أخرى وأغلقتها عليها .

تذكر زوجها عوائد قومه فحزن جداً ، وعلم أنه أساء الأدب ، وأسرعت زبيدة بالخروج ، وقام الرجل فلطم ابنه ونادى زوجته قائلاً : من أين أتيت بهذا الشقى ، ليس هذا منى ، إنى أستحى أن أنظر إلى وجه ابنتى أو إلى ساقيها .

بكت المرأة وأقسمت باللّه ما نظرت عيناى إلى غيرك أبداً ، ولا نظر إلى ما فوق كفى غيرك ، وأن الشمس لا ترانى إلا إذا خرجت لنشر الثياب ، وأن هذا ذنبك لا ذنبى ، فلعلك أكلت حراماً أو شربت حراماً ، فارتفع صوت الرجل والمرأة لما رأياه من هذا العجب .

العمدة ، صار بين همين : الخجل من زوجته ، وغضب والديه ، وضاقت عليه الأرض بما رحبت ، وتمنى الموت ، ولكنه خر يقبل قدمى والده قائلا : أخطأت يا سيدى، ويبكى ، فأجابه الوالد: تب إلى الله وحافظ على عوائدك الإسلامية ، واعلم يابنى أن الحيوان يغار أن يرى غيره أنثاه ، فكيف بك وأنت من صميم العرب ، وتعلم أن آداب الإسلام غض المرأة بصرها ، وإخفاء زينتها ـ فضلا عن عوراتها ـ ، فكيف ترضى أن ترى زوجتك عريانة اليدين والساقين والصدر متبرجة وترضى عنها ؟! ينهاها اللّه عن إبداء زينتها فتبدى عورتها !! وعندها وقفت أمه فى الشمس وقالت : أقسم لا أنتقل من الشمس حتى تستتر أو تطلقها، فقال : السمع والطاعة وأخذ يبكى بين يديها لتجلس فى الظل فجلست وتوجه إلى زوجته .

زبيدة ، أسرعت بعد وصولها لحجرتها فخاطت لها ثوبا كثيابهن ولبسته ، وقابلته به فلما دخل قال : أين زبيدة هانم ؟ فأجابته : نعم ، فلما نظر إليها قال: لا تحزنى ، فالعادة طبع خامس ، وللعادة سلطان قوى، فتبسمت فى وجهه قائلة : يا سيدى لا يكره الفضيلة إلا سفيه ،

وإن أفضل الفضائل الآداب الدينية ، وقد علمت أنكم آل بيت كريم ، فأشكر الله على أن أكرمنى بهذا الشرف ـ شرف الدين والدنيا ـ فأخذها وتوجه بها إلى والده ووالدته وعلمها آداب الزيارة والمجالسة . فبينما هم فى مبادلة التحية جاءت امرأة فقالت : إن ريانة مريضة من تأثير رؤية العفريت ، فطلبت زبيدة من زوجها زيارتها فسمح لها ، فتجملت من ملابس نساء القرية وتوجهت إلى ريانة.

مواضع العبرة والعظة فى هذه القصة

معلوم أن أعداء الإسلام قد درسوا جيداً مواطن القوة فى المجتمعات الإسلامية لإضعافها ، ومواطن الضعف لتوسيعها .. ووجد أعداء الإسلام أن المرأة فى المجتمعات الإسلامية فى حجاب شديد ، ولا يمكن تسريب الفساد إليها .

فكان قرارهم ضرورة إغراء المرأة وإخراجها من ثوب العفة والفضيلة والآداب الإسلامية .. وأجريت تلك العملية فى إطار ما سمى (بتحرير المراة) تلك الحركة التى قادها أناس تربوا فى تربوا فى أحضان الغرب ، وآمنوا بمعتقداته والإمام المجدد أبو العزائم رضى الله عنه يتناول تلك القضية الهامة فى قصة (ريانة الشرقاوية .. وزبيدة المصرية) .

فريانة الشرقاوية : رمز للمرأة المسلمة العفيفة المصونة ، التى تجملت بالأخلاق والآداب الإسلامية ، بالنفور من كل أجنبى لا يعنيها التكلم معه ، والوحشة من كل رجل يتعرض لها إلا لحاجة شرعية ، والحدة على كل امرأة تذكر أمامها غير زوجها ، أو تذكر لها أجنبياً ، والعفاف بتعصب أعمى ، والغيرة على كل عضو من أعضائها أن يراه غير زوجها ومحرمها .

أما زبيدة المصرية ، فهى رمز للمرأة المسلمة ، بعد أن خدعوها فسلبوها ثوب العفة ، وخلعوا عنها رداء الحياء ، وجردوها من الآداب الإسلامية ، فصارت كاسية عارية ، وأضحت مصدراً للإغواء ، وبابٌ من أبواب الشيطان ، وسبباً رئيسياً فى إفساد شباب الامة .

ولا علاج لهذه الأزمة إلا بأن نبين للمراة ما يجب عليها أن تتعلمه ، ونوضح لها قيمتها فى ظل الإسلام ، حتى تعود للفضائل والآداب الإسلامية ، كما عادت (زبيدة المصرية) فى هذه القصة لارتداء ثوب العفة والفضيلة .

العالم والتاجر والفلاح

من عجائب الاتفاق ، أن عالماً مالت نفسه إلى أن ينشطها بعد الملل من مزاولة الدروس ، بمفارقة المباحث والعمل ، ففارق مصره وأنكر قدره وجد فى السرى راغبا فى سكنة القرى ، حتى دخل قرية تدل آثارها على عيشة البداوة ، فقال: أعيش مع هؤلاء عيشة العاقل مع الجهلاء ، فأنسى الدواة واليراع ، والمناظرة والنزاع ، وأتفكه بتلك الأفكار السقيمة والأخلاق الذميمة ، ونزل على ماء وخضرة بين رجلين فحياهما فاستقبلاه ببشاشة ، وأجلساه بجانبهما ، وقدما له خبزاً قديداً وملحا جريشاً، وهشا وبشا ، فسألهما عن عملهما ، فقال أحدهما : إنى رجل فلاح ، وقال الأخر وأنا تاجر . فسأل الفلاح قائلاً : هل تعرف ربك؟.

الفلاح : إن كنت أجهل كل شىء فأنا أعرف ربى .

العالم : كيف عرفته ؟ .

الفلاح : هو عرّفنى بنفسه ، الأرض اللى أنت قاعد عليها قالت لى إن ربنا قادر ، بعد إن كنت ميتة أحيانى بالزرع ، والميه اللى قدامك دى قالت لى ربنا هو اللى أنزلنى من السماء ، وكل شىء يشوفه الواحد منا بيتكلم عن ربنا .

العالم : تعرف تصلى ؟ .

الفلاح : إذا كنت أنا بشوف الأرض والميه والبهائم والشمس والقمر والنجوم تملى بتخدمنى ، جعلها لى ربنا ، كيف أنا ما عرفش أصلى للى خلقنى ورزقنى ، هو أنا بهيم بس آكل وأشرب ما عرفش ربنا وما عرفش إن العبد يطاوع سيده ؟! .

الفلاح : أمال أنا أسألك إذا كان الإنسان ما ياكلش يجرى له إيه ؟

العالم : يمرض وبعدين يموت .

الفلاح : طيب إذا كان المسرجة ما تخطش لها زيت بعدين يجرى

لها إيه؟

العالم : بعدين تنطفى .

الفلاح : بقى عرفت إن جسمنا عاوز الأكل علشان يعيش ، والمسرجة عاوزة الزيت علشان تنور ، فالصلاة الزيت اللى بينور الروح بتاعتنا ويخلينا تملى نفتكر ربنا ولا ننساهش .

العالم ـ خجل وسكت .

التاجر ـ قال للفلاح ـ : الناس اللى بيقعدوا فى بلاد البندر بينسوا ربنا علشان تملى قلبهم مشغول بحاجات الدنيا الفانية ، ولا يفتكروش ربنا إلا عند المصايب ، شوف الواحد منا كل شغله يفكره ربنا .

الفلاح : يخويا دا ربنا عطاهم الأكل والشرب والراحة ، لكن همه ضيعوا عمرهم فى الحاجات البطالة.

التاجر : يعنى إيه ؟ .

الفلاح : يغيبوا طول الليل وطول النهار يتكلموا فى الشيء اللى ما ينفعش ، زى الهدوم ، والحسد ، والشهرة ، والوظايف ، وهناك حاجة كمان تانية يسموها السياسة ، يقوموا يتكلموا فيها ، ومحدش يعرف همه عاوزين إيه .

التاجر : إنت رحت مصر ؟ .

الفلاح : رحت ، كان معاى شويت سمن ، فت على الجوامع لقيتها كلها مقفولة حتى مصلتش الضهر إلا مع العصر ، ولقيتهم كلهم قاعدين فى السكك على القهاوى ، سمعتهم يقولوا يحيا سعد زغلول ، وجماعة تانين يقولوا يحيا عدلى ، أنا افتكرت إن الناس دول بنوا مساجد أو وقفوا أطيان كتيرة للفقره ، خدت السمن بتاعى ورحت أسأل عن بيتهم ، لما رحت هناك لقيت زحمة سألت : بتأخذوا إيه من هنا ؟ قالوا مافيش حاجه إحنا جيين نثبت الثقة بالرئيس .

التاجر : إنت ما تعرفش الكلام ده، سياسة غويطة ، دا سعد زغلول عامل سياسه هو وعدلى، يعارضوا بعضهم قدام الناس ولكن هم متفقين ويا بعض ، وما تصدقش إن راجل زى سعد زغلول فى آخر عمره، يجهل إن شطارته ما تظهرش إلا إذا كان الرجال العقلا اللى يحبو الخير للمسلمين يكونوا وياه، كمان ياخويا عدلى ده اسمه من زمان كويس، وما يصحش إنه يجي فى الوقت اللى احنا محتاجين له، وعلشان حاجة ما تضرش ولا تنفع يعمل عداوه، لا بد يا خويا إنهم بيعلموا كده بالقصد .

العالم ، صغرت علومه ونفسه فى نظره، وعجب من تأويل الفلاح والتاجر البسيطين، فسأل التاجر قال له : إيه رأيك فى الناس دي الوقت ؟

التاجر : الناس اللى ما يكنش ربنا معهم مين ينصرهم ؟ اللى عاوز ربنا ينصره هو ينصر ربنا، لأني أنا سمعت سيدنا وهو بيقرأ كلام ربنا ﴿ إن تنصروا الله ينصركم ﴾[1]

العالم : كيف ننصر ربنا ؟ .

الفلاح ـ بسرعة ـ : ربنا غنى عنا، واحنا كلنا محتاجين له، والنصرة بتاعتنا له طاعتنا لأمره ، واتباعنا للنبى اللى أرسلو لنا ، وحبنا لبعضنا .

التاجر ـ وكمان حاجة ، إن كل واحد منا يحب للمسلمين اللى يحبه لنفسه.

العالم ـ والناس اللى بيمشوا في الشوارع ويزعقوا دول والعساكر يضربوهم وهمه يضربوا العساكر رأيك فيهم إيه ؟ .

التاجر : أنا كمان مشيت وياهم، ولكن ده فعل ربنا، لما ربنا يريد ماحدش يمنعه، إحنا كنا زمان نحب البرطانيين دول أكتر من الحكام المسلمين، وكنا نخاف منهم كتير خالص، ولكن اليوم ما بقناش نحبوهم ولا نخاف منهم، بقى دا فعلنا والا فعل ربنا؟ .

(١) سورة محمد آية ٧ .

ولا سعد ولا عدلى يقدروا يحببونا ولا يكرهونا ، لكن الناس ما يعرفوش لما المطر ينزل مين يقدر يحوشه ، إن كنت فقى قوم ادن لنا الظهر خلينا نفتكر ربنا وبلاش كلام ..

مواضع العبرة والعظة فى هذه القصة

فى قصة (العالم والتاجر والفلاح) .. يبين الإمام المجدد أبو العزائم رضى الله عنه طريق معرفة الله ، وهل تكون بالعقل أم بالقلب ؟!

كما يوضح أيضاً أن المعرفة لا تتوقف على التحصيل العلمى والقدرة العقلية فقط .. بل هناك معارف وهبية لا كسبية تقذف فى القلب كما قال تعالى : ﴿ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور ﴾

فالعالم : فى هذه القصة رمز لعلماء الكلام ، الذين اعتقدوا أن طريق معرفة الله هو العقل ، وأنكروا العلوم الوهبية ، والمعارف اللدنية . وقد أخطأوا فى ذلك . لأن معرفة الله تعالى لو كانت بالعقل وحده ، لفاز بها الأوربيون والأمريكان واليابانيون وغيرهم من أهل العقول التى اخترعت الصناعات والفنون والحرف المدهشة ..

ولكنهم فاقوا إبليس كيداً فى محاربة الحق والمسارعة إلى إطفاء نوره بقوة عقولهم .

أما التاجر والفلاح : فهما رمز لمن عرف الله بالقلب الذى صفا من الأغيار ، فصار بيتاً معموراً بالأنوار .. فكان سلوكهما مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ واتقوا الله ويعلمكم الله ﴾ ، وقوله سبحانه : ﴿ إن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً ﴾ . والقلب إذا واجه الملكوت الاعلى ، لا يحتاج إلى العقل ، لأنه صار عقلاً يعقل عن الملكوت ، ويمد الخيال بصور من الكمالات الملكوتية . ولهذا قال الإمام المجدد أبو العزائم فى مواجيده :

الفقه فى القلب نور من لدى الرب
وليس فى صحف تتلى لذى حجب

ولهذا يأتى الإمام المجدد فى هذه القصة " بالعالم " المعجب بعلومه العقلية ، ليجلس مع " التاجر والفلاح " اللذين وهبا الفقه القلبى ، فيكشف " العالم " أنه ليس إلا خزانة علوم ، وأما " التاجر والفلاح " فهما خزانة للفهوم ، فقد تحدثا فى معرفة الله ومعرفة النفس وفى السياسة والاجتماع وصدق رسول الله ﷺ : (رب حامل فقه غير فقيه ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه) [1] . وهو معنى قوله تعالى : (ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الأرض ونجعلهم أئمة) [2] .

---

(١) رواه الترمذى عن زيد بن ثابت .

(٢) سورة القصص آية ٥ .

المقتصد والمسرف والفاسق

شاب مقتصد من صغره، حريص على توفير أكثر ما يصل ليده من المال، وكان له أخ يصرف كل ما وصل إليه، حتى اعتاد على تبذير ما معه، وكان لهم جار اعتاد عمل الشر .

المسرف : قال للمقتصد : أعطنى ريالا أرده إليك يوم الجمعة .

المقتصد : لم احتجت ؟ قال : اشتريت بمالى لعبا وتكسرت ورايح أشتري غيرها .

المقتصد : أنا لا أحب أضيع مالى فى لعب .

المسرف : أنا رايح أرسم نفسى .

المقتصد : ليه أدفع مالى فى الرسم هو له فايده ؟ اللعب تتكسر، والصور تتقطع، والمال يروح، والواحد يرجع يذل نفسه لغيره زيك . أنا أحفظ مالى وأبقى عزيز غنى عن الناس، والناس تحتاج لى أحسن، شوف أنت جيت لى ذليل محتاج ولو كنت ما ضيعتش مالك فى اللعب والصور لم تحتاج لى .

المسرف : يوم الجمعة أرد لك الريال بس هاته .

المقتصد : أحسن أصبر من غير دين ليوم الجمعة .

المسرف : خطف من جيبه ريال وطلع يجرى .

المقتصد : رمح وراه يبكى فلقيهما فاسق فقبض على المسرف .

الفاسق : قال للمتقصد : أخذ منك إيه ؟ .

المقتصد : ريال .

الفاسق : قبض على يد المسرف ليأخذ الريال .

المقتصد : قال للمسرف : لا تعطيه وأحسن نرجع إلى البيت .

الفاسق : أرجعه لك منه .

المسرف ، خاف أخوه يأخذ الريال منه بالقوة فأعطاه للفاسق وقال : أمسكه معك .

الفاسق ، أخذ الريال وفر المتقصد وراءه .

المسرف ، قال : إن شاللّه ما رجع .

المقتصد ، رمح ورا الفاسق حتى اختفى عنه ، فمشى وراءه يسأل عنه ، حتى استدل عليه فى بيت من بيوت العهارة، فدخل فوجده يشرب الخمر مع عاهرة .

الفاسق ، لما رأى المقتصد ، فر هاربا .

المقتصد ، أسرع فقبض عليه ، وقال له : أنا أترك لك الريال إن سمعت كلامى .

الفاسق : تكلم .

المقتصد : ليه إنت هربان منى ؟ .

الفاسق : خجلت لما شفتنى أشرب الخمر .

المقتصد : أنا ولد صغير ، وإذا كان فيك قوة الشعور أن تستحى من ولد صغير كيف لا تخاف من اللّه وأنت تسمع الفقهاء يقرءون القرآن ﴿وهو معكم أينما كنتم﴾[1] ؟

الفاسق : أنا مصدق ، ولكنى شفتك بعينى وربنا لا تراه الأبصار .

المقتصد : الإنسان يشوف بعين قلبه زى ما يشوف بعين رأسه .

الفاسق : هل كل الناس عين قلبهم تشوف ؟ .

المقتصد: الذى لا ينظر بعين قلبه يقلد غيره.

الفاسق : الناس صاروا بطالين .

المقتصد : أنت سمعت كثيراً الفقهاء والعلماء يخوفون من النار ، لازم تصدق وتبعد عن فعل الشر ، وتعتقد إن ربنا حاضر مع الإنسان ، وينظر إليه ويعلم به .

---

(١) سورة الحديد آية ٤ .

الفاسق ، بكى .

المقتصد : الحمد للّه ، تب أحسن لك وأنا أسامحك فى الريال .

الفاسق : ياليتنى خطفت الريال من زمان .

العاهرة ، ضربت المقتصد .

المقتصد ، بكى من ألم الضرب وقال : أنا أسعى فى الخير وأنت تعملين الشر ! .

العاهرة : إنت وأبوك والناس كلهم جاءوا من أين؟ .

الفاسق : الحلال بيِّن والحرام بيِّن ، وهذا الولد كلامه يرقق القلب وصحيح يا جنينة[1] إن الإنسان بكره يموت ويحاسبه ربنا ، وكل الشهوات دى تنتهى ونتعذب عليها وأحسن نتوب إلى اللّه قبل الموت.

العاهرة : هذا الولد من أين ؟ .

التائب : هذا من عند ربنا وكلامه حق ، أنت شفتى المرأة مارتا وفريزة وكنتوشة حصل لهن إيه ؟

العاهرة : اتشوَّهوا واتقطع لحمهم وبعدين ماتوا فى الأوده وقعدوا عشرة أيام من غير ما يعرفهم أحد .

جنينة : والله يا كعبور[2] كلام الولد ده حلو .

المقتصد : إذا كان تاب يتزوجك .

جنينه : أخذت زجاجة الخمر كسرتها ، جنينة وكعبور اغتسلوا .

المقتصد : سمع منادى يقول : يا ولاد الحلال ، ولد تلميذ اسمه شفيق تايه وحلاوته جنيه .

المقتصد : هم بالخروج .

جنينة : أقعدته وقالت : اصبر حتى نتوجه معك للعالم .

---

(١) اسم العاهرة "جنينة"

(٢) اسم الفاسق كعبور .

المقتصد : هذا المنادى يفتش عليّ ، ونظر فى الساعة فوجدها أربعة عربى ليلا .

المسرف ، بعد أن أخذ الفاسق الريال منه رجع إلى البيت ولم يخبر والدته عن أخيه ، فسألته عنه فأنكر حتى جاء والده .

الوالده ، أخبرته بغياب ابنها .

الوالد ، سأل المسرف عن أخيه .

المسرف ، خاف من والده فأخبره بالحقيقة .

الوالد ، قال : زمان الحرامى قتل الولد ، عند ذلك الوالدة قامت تبكى وتضرب المسرف .

الوالد ، خرج مسرعا إلى القسم يسأل عن ابنه فلم يجده ، فأرسل المنادى ينادى عليه .

المقتصد ، خرج مع كعبور وجنينة إلى بيت العالم المشهور فى مصر ، وأخبره بالحادثة ، فأرسل العالم بسرعة رسولا إلى بيت المقتصد ليطمئن أهله ، ووعظ الفاسق والعاهرة حتى تابا على يديه ، وزوج المرأة للرجل ، وعندها حضر الوالد والوالدة يبكون ، فلما رأوا ابنهم زال ما عندهم .

المسرف ، ندم على جميع فعله ، وعزم على أن يقتدى بجميع فعل العالم .

الفاسق التائب ، رأى فى بيت العالم يفطة مكتوب فيها :

إن من يركب الفواحش سراً ... حين يخلو بسره غير خال

كيف يخلو وعنده كاتباه ... شاهداه وربه ذو الجلال

مواضع العبرة والعظة فى هذه القصة

يعمل أعداء الإسلام دائماً على إضعاف المجتمعات الإسلامية ، بضرب القوة الإقتصادية للمسلمين ، وإفساد الحياة الإجتماعية لأبناء الأمة وكان ضرب القوة الاقتصادية عن طريق البنوك الربوية ، وكان إفساد الحياة الاجتماعية بإشاعة الخمور والبغاء والملاهى والمسارح ودور السينما وأندية الفيديو والمجلات الهابطة وغيرها ، ونشروا ذلك فى البداية عن طريق الأقليات الغير مسلمة الباقية فى البلاد الإسلامية.

ولذلك نجد بالدراسة الفاحصة أن أول من فتح دور اللهو والمسارح وأول من أقام الأستوديوهات لإنتاج وإخراج الأفلام الماجنة وأول من رخص صحفاً تحمل أفكاراً خبيثة ، كانوا هم اليهود والنصارى فى بلاد المسلمين والإمام المجدد ابو العزائم رضى الله عنه ، كعادته يلقى الضوء على هذه المشكلات فى قصة (المقتصد والمسرف والفاسق)

(فالمقتصد) : فى هذه القصة يرمز إلى المسلم الكامل ، الذى تربى على أيدى العلماء الربانيين ، فحفظ نفسه وماله ووقته وصحته وحياته .. وكان تجسيداً لقوله تعالى : ﴿ والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً ﴾ .

(والمسرف) : يرمز للمبذرين ، الذين لم يستوعبوا رسالة المال فى أمة الإسلام ، والذين أنبأ عنهم القرآن المجيد فى قوله تعالى ﴿ إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين﴾

ولذا نجد أن المسرف (المبذر) هو مصدر التمويل الدائم لكل فاسق !! والمتتبع لنشأة الفساد فى المجتمع الإسلامى يجد أن مصدره دائماً كان ينبع من أصحاب الثروات المسرفين ، مثل بعض باشوات العهد الماضى ، وبعض رجال الاعمال فى وقتنا الحالى .

(أما الفاسق) : فهو يرمز للمسلم الخارج على أحكام دينه ، المتعدى لحدود الله ، المستحل لحرمات الله الذى يستغل صداقته للمسرفين من المثرين وأصحاب الملايين ، لقضاء ملذاته وشهواته !!

ولكن هؤلاء (المسرفين والفاسقين) فى حاجة دائمة إلى من يأخذ بأيديهم إلى طريق النجاة ، ولا يأتى ذلك إلا (بالمقتصد) الذى يجسد لنا المسلم الكامل الذى تربى على أيدى الربانيين ،

فيجذبهم بالرحمة الإلهية ، والمحبة الربانية .

الجبان والمتوسط والمتطرف
المؤتمر الشرقى العام

شرف الشرق :

خلق الله الإنسان حراً مريداً ، فلا ينام إلا لمرض ولا يذل إلا لغرض ، فإذا نام لا توقظه إلا الحوادث العظام ، وإذا ذل لا يشجعه إلا شديد الآلام ، فإذا قام من نومه أبى أن ينام إلا إذا كان مريدا حرا ، وإذا نفض تراب الذل عنه أبى أن يضام ولو قهر ، أو إذا نام الشرق وما كان له أن ينام ، واستكان وما كان له أن يضام ، وهو الأفق الذى أشرقت فيه شموس رسل اللّه ، وطلعت فيه بدور أنبياء اللّه ، وانتشرت منه فى الأقطار أنوار الحكم ، وتفجرت ينابيع الفضائل والنعم .

بل هو الأرض التى أنبتت الإنسان ، وهبط إليها من أسجد اللّه له ملائكته ، وجعله صورته ، بل وأظهر اللّه فيه عجائب قدرته ، وغرائب حكمته ، فأظهر فيه رسله ، وأنزل فيه ملائكته ، وخصه بوحيه ، فكان مهبط ملائكة اللّه ، ومقر رسل اللّه ، ومبعث أنوار الرحمة والحكمة ، والعلم والعدالة ، والاجتماع الإنسانى الفاضل ، حتى كأن اللّه تعالى لشرف الشرق خصه بفضله وكرمه ، وأثنى على أهله المقبلين عليه ، وحاسب على ما أودعه فيه من الخيرات والبركات من أبى وتكبر .

ولم يُسمع أن الغرب خص بميزة روحانية ، ولا بنعمى ملكوتية ، فكان الغرب ومجهولات أفريقيا وسكان أمريكا ، كأن اللّه خلقهم كمستودعات لاستحضار ما يحتاج إليه الشرق ، فمجهولات أفريقيا لتطهير الهواء وخزن المياه الهاطلة من السماء لمنفعة الشرق ، وكأن أوروبا لتربية المعادن والحاصلات المفيدة كالفحم ، وأخشاب الأشجار الضخمة

وتلطيف الهواء الحار ، الذى يأتى من الشمال على بلاد الشرق مارا على الثلوج والبحار ، ولذلك لم تذكر فى الكتب المقدسة .

ومن نظر بعين بصيرته إلى ما فيه الغرب يظهر له أن أهله حرموا من القوة التى بها علو الهمة ، وقبول العلم بالله ، ولذلك ترى أكثر سكان الغرب يعبدون إنسانا ولده الشرق ، أو يجحدون من أوجدهم ، وبإحسانه أمدهم ، أو ينكرون وجود الإنسان الذى خلقه الله ، وسخر له جميع الكائنات ، وأعد له النعيم المقيم ، يوم لا ينفع مال ولا بنون، فيعتقدون أن الإنسان أصله قرد ، وينكرون الفضائل الإنسانية ، فينحطون إلى أدنى مراتب الوجود ، فتراهم كالحيوانات فى الغابة ، يفترس القوى الضعيف ، وليس كذلك الإنسان .

يقظة الشرق :

لما كان أهل الشرق هم الناس الذين اعتنى الله بهم ، وأكرمهم بالنبوة والرسالة والحضارة والاجتماع الإنسانى ، ولم يخل مجتمع من المفسدين ظهر فيه الفساد فعم ، فسلط الله عليهم من أدبهم بهم ، حتى اشتد الظلم ، وعظم الطغيان ، وتوالت الحوادث ، فحس النائم بلهب النار ، وكاد التساهل أن يذوب بالشرار ، تيقظ فرأى من يأنس بهم وحوشا كاسرة ، ومن يميل إليهم أمراضا قاهرة، واشتد على الشرق الأثر، فاقتضى الحال للمؤتمر .

المؤتمر فوق جبال القمر :

انعقد المؤتمر بعد السمر فى دار الحكمة النظرية ، على جناح السرعة للحكمة العملية .

جلس الرئيس وأمامه الجبان والمتوسط والمتطرف .

الرئيس ـ قال بعد البسملة : ﴿وعد اللّه الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنّهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا﴾[١] ، ثم بكى فأبكى وقال : السماء هى السماء ، والأرض هى الأرض ، ولكن ما سر التغير ؟ ثم استرجع وقال : قال الله تعالى : ﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ﴾[٢] ، ثم التفت إلى الجالسين فقال : الشرق هو الشرق ، وأهله هم أهله ، لم تنمسخ الأجسام ، ولم تنعكس القامة ، نعم ، ولكن أين تلك الهمم وذاك الشمم؟ وأين تلك الحمية والغيرة التوحيدية والعزيمة الإسلامية والنشوة الروحانية التى كانت تضمحل أمامها الملاذ البهيمية وتتضاءل الحظوظ الشهوانية ؟ فيكره الإنسان حياته إذا رأى الباطل أو أهله ، غيرة للحق ونصرة للفضيلة ماهذا الذى فرق بعد الاجتماع ؟ وأضعف بعد القوة ؟ وأذل بعد العزة؟ وسلب الحياة الروحانية ؟ .

بينوا لى إخوتى ووضحوا لى سادتى ، أيموت الإنسان مرتين : موت لضميره وعقله ، وموت لجسمه وحسه ، فيكون بموت ضميره بهيما مذللا يقاد ولا يحس بالهوان ؟ أم تمرض نفسه فلا يحس بالذل لنظيره، فيداوى وتعود له الصحة الإنسانية التى يعرف بها قدره وحكمة إيجاده ويعلم مصيره ؟ .

الجبان ـ أجاب قائلا : ما هى حياة الضمير ؟ الخلق كلهم يتعبون ليحصلوا حوائجهم ، ويعيشون ليأكلوا ، وما دام الإنسان بطنه معمورة وعورته مستورة كان فى حياة مشكورة ، أنا ظننت عند بكائك أن السماء انخسفت على الأرض ، وقد جهلت ما تقول ، كل واحد منا

---

(١) سورة النور آية ٥٥ .

(٢) سورة الرعد آية ١١ .

عنده أكله وشربه ، وهدومه ، وينام بالليل ، ويقوم بالنهار يشتغل ، هل منعنا من الأكل والشرب ؟ أم من النوم ؟ فهّمنى ما الذى تريده ؟ أليس اللّه مدح الحلم فى كتابه ، وقال سبحانه : ﴿ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة﴾[1] وهل لى رأسان فأجود بواحدة وأبقى الأخرى ؟! أنا أرى البهائم وهى أقوى منا أجساما فى عيشة لذيذة ، لا تحس بالذل والهوان ، قال الشاعر :

سألزم نفسى الصفح عن كل مذنب
ولو عظمت منه على الجرائم

وقال رسول اللّه ﷺ : " إن الله ليحب الحليم الحيى ويبغض الفاحش البذىء"[2] أنا ظننت أن هذا الاجتماع على مائدة شهية أو لنيل عطية .

الرئيس: (قاطعه قائلا) : سكت عيا ونطقت غيا ، اعلم أن حب الذات أصل البليات ، والحرص على الحياة عين الممات ، استشهدت بقول الشاعر وجهلت مراده ، وبقول رسول اللّه ﷺ ولم تحكم إيراده ، وذكرت الحلم على غير علم ، ليس الحلم انخلاعا عن الكمال الإنسانى بالذل لظالم شيطانى ، إنما الحلم إمساك النفس عند الاستشاطة فى الغضب ، وربط الجأش عند هيجان الحرج ، وملك الجوارح عند اتقاد جمرة الشهوة والشر ، والسكون عند الحركة للانتقام مع القدرة على ذاك فإن الحليم أطاع ربه وملك إربه ، رحمة بالنظراء والضعفاء ، لشرف النفس وعلو الهمة وحب مكارم الأخلاق ، وليس الحلم ضعف الهمة

---

(١) سورة البقرة آية ١٩٥ .

(٢) أورده الزبيدى فى اتحاف السادة المتقين ٣١/٨ ، ٨/ ٨٠٣ والعراقى فى المغنى عن حمل الأسفار ٣ / ٤٧١ ، ٣١٢ والطبرانى فى المعجم الكبير ٢٤١/١٠ وابن حجر فى الكاف الشاف فى تخريج أحاديث الكشاف ٢٣ والسيوطى فى الدر المنثور (٣٥٩) والطبرى فى تفسيره ٦٦/٣ وابن أبى الدنيا (٤٨) .

واحتمال المهنة ، وقال الشاعر :

ولا خير في حلم إذا لم يكن له
بوادر تحمى صفوه أن يكدرا
ولا خير في جهل إذا لم يكن له
حليم إذا ما أصدر الأمر أصدرا

اجلس أيها الجبان ، فقد كدت تميت الشجاعة والشرف ، وتحى الذل والتلف ، ثم التفت فقال : يجب علينا أن نعالج النفوس حتى تعافى من أمراض الرذائل وأسقام الدنايا ، ليعافى الأسافل .

المتوسط : يجب علينا أن نبحث عن سبب هذا الخبر ، وعن موجب هذا الضرر ، لنعلم كيف صار الشجاع جبانا ، والعزيز مهانا ، ولديها نركب للداء الدواء بأناة وروية ، وقد سئل رسول الله ﷺ عن الإيمان فقال : "هو الصبر" [1] وقال الشاعر :

لا يدرك المجد أقوام وإن كرموا
حتى يذلوا وإن عزوا لأقوام
ويصفحوا عن كثير من إساءتهم
لا صفح ذل ولكن صفح أحلام

الرئيس : واجب الوقت أن نعمل لا أن نتكلم فبين رأيك .

المتوسط : تعلم يا سيدى أن الغاصب لا يرد ما وضع يده عليه بحجة لسانية ، ولا بمفاوضة بيانية ، حتى يهدد بقوة تخيفه وبصولة ترهبه ، لكى يتحقق أنه إن أبطأ فى رد المغصوب يؤخذ منه قهرا ، وبدون تهديد

---

(١) رواه أحمد فى مسنده ٣١٩/٥ ، ٣٨٥/٤ والتبريزى فى مشكاة المصابيح ٤٦ والمتقى الهندى فى كنز العمال ٥٧.

لا ننتفع بوعوده .

الرئيس : بين لنا طرق التهديد من غير ترديد .

المتوسط : يعلم سيدى أن المغصوب منا السيادة والأموال ، فالقوة التى نسترجع بها السيادة من هذا الغاصب أن نتحد متحابين ، ونتعاون على الخير متحدين ، وأن نصلح ذات بيننا فى كل الحوادث بأنفسنا ، فلا نحتاج إلى هذا الغاصب أن يدفع ظلم بعضنا عن بعض ، وأن نعز أنفسنا من أن تذل بالتقرب منه ، والإكرام له ، حتى نتباعد بالكلية عنه .

فإنما سادنا بقهر بعضنا ببعض ، فإن بعضنا تدعوه السفاهة إلى نيل شهوته وحظه بأذية قومه ، فيستعين بالغاصب على أحب الناس إليه ، وأقربهم منه ، وإنا والحمد للّه ديننا حق ، جمع لنا ما به سعادتنا فى الدنيا والآخرة ، فلنرجع إليه فى معاملتنا ، ونتوب إلى الله مما جنته علينا نفوسنا من مخالفة الله تعالى ، فنكره ما كَرَّهَنَا فيه ومن كرهَّنَا فيهم ، ونحب ما رغبنا اللّه فيه ومن أمرنا بحبه ، وبذلك نسلب سيادتنا منهم ونحيا فى أوطاننا أعزاء نجدد آدابنا وفنوننا وصناعاتنا ، أمّا استرجاع المال من يد الغاصب فأمر سهل علينا، وذلك أن نستغنى بحاصلات بلادنا ، وننافس فى صناعاتنا ، ونشجع عمالنا .

لأن الشرق مكث أكثر من ستة آلاف سنة وهو منبع الفنون والصناعات ، ومصدر الحكمة والخيرات ، والغرب فى حضيض الأسفلين بل فى ذل مهين ، فهم ولا يزالون فى حاجة إلى الشرق فى ضرورياتهم، والشرق غنى عنهم فهلم بنا نستغنى عن وارداتهم المفسدة للعقول ، المضيعة للأموال ، المفسدة للأخلاق والآداب ، أنظر يا سيدى بكم من الملايين يشرب الشرق خمراً ، وبكم يفسد صحته بالعقاقير والمياه المعدنية التى تجلب لأهل الشرق فتفسد أجسامهم لأنهم لم يعتادوا عليها لا شفاء لكل إقليم إلا بعقاقير أرضه ، وبكم من الملايين يرد على الشرق من الأقمشة للرجال والنساء ، التى لا يستعملها إلا أهل الخلاعة الذين لا

خلاق لهم ، مع أن صناعات الشرق مع جودتها ومتناتها تناسب الكمال والمكان ، وكم خربوا بيوتا للصناعة ، وكم أماتوا صناعا وعمالا كان الشرق يفتخر بهم ، وإنى لأعجب كيف يقتل المرء نفسه ليحى عدوه ، نترك ياسيدى شرب الدخان واستعمال الحشيش والجلوس على البُرَص التى تنزف ثروة الشرق ، ونعود إلى تبادل الزيارات فى منازلنا ، والاجتماع على أفاضلنا ، فنسترجع أموالنا المسلوبة ، ونعيد صناعاتنا المفقودة ، ونجدد المحبة والولاء والصفاء بيننا والوفاء بعد التفرقة والجفاء ، فيكون الشرق من المحيط الأطلنطيقى إلى المحيط الهادى ومن المحيط الهندى إلى المتجمد الشمالى كعائلة واحدة ، يجمعها دين حق، ووطن جمع الله لنا فيه أنواع الخيرات كلها ، وأغنانا اللّه به وأحوج إلينا غيرنا .

هذه يا سيدى هى القوة التى نهدد بها عدونا الآن ، فنضطره إلى مفارقتنا أو إلى مسالمتنا ، فإذا جمع اللّه شتاتنا ومنحنا النشاط فى تحصيل العلوم النافعة ، والفنون الرافعة ، عاد لنا مجدنا الماضى ، وعدنا للعالم أجمع كما كنا مصدر الرحمة والخير ، كما أمرنا اللّه تعالى ووصانا به رسول اللّه ﷺ ، نعفو عن إساءة المسيئين .

الجبان : (قام باكيا قائلا) : إنى كنت نائما فتيقظت ، غافلا فتنبهت ، وإنى أعاهد سيدى الرئيس أن أكون أول عامل بتلك الوصية ، مجاهدا نفسى بكل غيرة وحمية ، وإنى أنشر تلك المبادىء بين أحبابى وأولادى فترون إن شاء اللّه جيشا على الرذائل هاجما ، هذا وإنى أرى أن يكون تعليمنا بالعمل لا بالقول والأمل ، وهلم فليحرق كل واحد منا ما على جسمه أو فى حقيبته مما وجد من غير أوطاننا ، وكان أكثر ملابس رجال المؤتمر من صناعات مصر ومراكش والهند ، فأحرقوا الأحذية والسجاير والشرابات ، وأرسلوا الخدم فأحضروا لهم نعالا وشرابات .

الرئيس : الحمد لله الذى منحنا الاتحاد فإن الذى يعمله الفرد يعمله المجتمع .

المتطرف : إن رأى المتوسط حسن ولكنه يحتاج إلى زمان طويل نخشى فيه من العدو أن يخدع من لا بصيرة لهم ، أو يصادر الصناعات بما أتقنه من طرق الانتقام والتشديد ، والخبث والتهديد ، والرأى عندى أن نهدده بالمظاهرة بالعداء ، ونطالب برد كل شىء لا يرضاه ديننا ولا تستحسنه عوائدنا ، ونخرج من بلادنا أهل المفاسد المنتشرين لسلب الأموال بالخمر والميسر والفجور ، ونطالب بألا يتعين فى إدارة شئوننا أجنبى إلا إذا فقد نظيره من الأمة ، ونطالب بأن تكون الشركات المستولية على المنافع العمومية للأمة ، وأن ينشر التعليم العام الذى يعيد للشرق مجد الصناعات ، ويجعل للصناع قوة الاختراع والتفنن ، حتى يزهو الشرق بمجهودات العقول السليمة ، وتلك المطالب كلها لا بد لها من ثمن غالٍ ، فندفعه سخية به نفوسنا ، وهاهو هذا الصداق يبذل من نفوس طاهرة بريئة ، تحصدها الرشاشات من مياه الهند إلى مراكش ، ومن لم توقظه من نومه جمرات النار كيف يستيقظ ؟! .

مواضع العبرة والعظة فى هذه القصة

تناول الإمام المجدد أبو العزائم رضى الله عنه فى قصة (الجبان والمتوسط والمتطرف) أو (المؤتمر الشرقى العام) قضية مجد الشرق الذى فقده الشرقيون أو بالتحديد كيفية عودة المجد الذى فقده المسلمون ، وذلك من خلال عقد المؤتمر الشرقى العام ، حيث أدار الإمام المجدد الحوار بين رئيس المؤتمر وكل من (الجبان والمتوسط والمتطرف) بكل مهارة واقتدار ، واستطاع الإمام المجدد من خلال المؤتمر الشرقى العام تشخيص الداء الذى أصاب الشرق فأضاع مجده وعزته ، ثم وضع الدواء لإعادة ذلك المجد المفقود .

(**فرئيس المؤتمر الشرقى العام**) ، يرمز للعالم الربانى ، أو إلى المجدد الذى يجدد للأمة أمر دينها ، فهو المرجع العلمى والمعرفى لهذه الأمة ، ولا سبيل لعودة المجد الإسلامى ولا لكرامة الشرق ، إلا بالرجوع إليه .

(**وأما الجبان والمتوسط والمتطرف**) ، فهم يرمزون إلى أحوال أبناء الأمة ، على

مر العصور ، وكر الدهور .

(فالجبان) ، هو الإنسان الذى فارق فضائل دينه ، وتربى على تعاليم الغرب فما دامت بطنه معمورة ، وعورته مستورة ، فهو كما قال عن نفسه فى عيشه مشكورة. تلك هى فلسفة الجبناء فى الحياة ، أن يعيشوا لتحصيل حظوظهم ، ونيل شهواتهم ، وغالباً ما يمثلون الطابور الخامس فى بلاد المسلمين ، الذين يوالون أعداء الدين ، ولابد من قهرهم دائماً للعمل بالشريعة ، والتمسك بالدين .

(وأما المتوسط) ، فهو يرمز إلى المسلم الفاهم المدرك ، الذى أجاد تشخيص أزمة الأمة ، فأرجع ضياع المجد الذى كان للشرق ، إلى إغتصاب السيادة ، الذى أدى إلى إنهيار الأحوال السياسية ، واغتصاب الأموال ، الذى أدى إلى إنهيار القوة الأقتصادية وأمة فقدت استقلالها السياسى ، وقوتها الاقتصادية ، لا يمكن لها نيل الحرية .

(وأما المتطرف) ، فهو رمز للمسلم الشجاع الذى يعرف أنه لا يصح أن نطمع فيما فى يد المستعمر القوى إلا بالقوة ، فالمحتل والمستعمر لن توقفه حجة لسانية ، ولن تردعه مفاوضة بيانية .. والسبيل هو أن يسترخص المسلم النفس والمال لعودة المجد كما قال قائل :

ولست أبالى حين أقتل مسلماً
على أى جنب كان فى الله مصرعى

المجذوب والسياسى

سئم ناصر الشهير أعمال السياسة ، لأن خديعة الأعداء فوق سياسته ففر إلى زاوية مزوية ليروح نفسه بين الدراويش بحالة خفية ، فوجد مسكينا فى أسمال ظنه محتالا ، وانتقد عليه ولكنه أسرع إليه ، وقال ما أسمك ؟ فأجابه : اسمى أبو تراب ، وانتقادك علىّ عجب عجاب ، فظن به السوء وقال : أتقن الحيلة وحصل فى النصب الوسيلة ، وعزم أن يكشف سره بالسياسة وأتقن وسواسه وقال : أبا تراب ما عملك فى النهار ومتى تخرج من الدار ؟ .

أبو تراب : عملى فى النهار من كلاب الدنيا الفرار ، وبما أشهده الاعتبار.

ناصر : وإلى من تفر وأنت بينهم وفيهم ومنهم ؟ .

أبو تراب : إلى مشهود بعيون اليقين ، قريب من أهل التمكين ، إلى رب العالمين .

ناصر : لعل عقلك مختل ، وعزمك منحل .

أبو تراب : إن من تيقن الموت ، وتحقق عدم الفوت ، ونظر فاستبصر يفر إلى الله ولا يتأخر .

ناصر : ما حال الناس اليوم ؟ وما يؤول إليه شأن القوم ؟ .

أبو تراب : تعنى بالناس المسلمين ؟ قد التفتوا عن وليهم ، وركنوا إلى عدوهم ، فخدعهم بالمحال ، ثم أذاقهم الوبال ، مكنهم الله فى الأرض بالتقوى ، وأذل لهم غيرهم ومنحهم الجدوى ، فتفرقوا أيدى سبأ وكم وعظهم فى النبأ ، هاهى شواظ النيران تمزق جلودهم ، والوعود تهدد بلادهم ، فأصبحوا بعد أن كانوا سادة أمراء عالة أذلاء ، وهذا جزاء من

التفت عن وليه المعطى الوهاب ، ويرغب فى المسارح والملاهى عن المحراب ، وأدخل الثعبان المنكمش فى الشتاء ، بين جلده والغطاء ، فليلم المتساهل نفسه ، حيث والى العدو ومنحه أنسه .

ناصر : وهل لذلك خلاص ؟ أو ليس منه مناص ؟ .

أبو تراب : سبب البلايا هذا ، وقبض على لسانه ثم مزق ثيابه ، ووضع يده على بطنه عريانة ، وقال : إنما مكن العدو هذه ، ثم وضع يده على عورته وقال : سبب الذل للعدو هذا ، هجموا علينا بالسيوف فقهرناهم بما كنا عليه من الحق ، فردوا الكرة علينا بشهوتى البطن والفرج فقهرونا قهر الدابة بالسرج ، ينادينا رسول الله ﷺ لنلتفت عن أهل الشهوات ، وينادينا الأعداء إلى الذل والبليات ، فنجيبهم للمعاصى والمخالفات .

ناصر ـ بكى بكاء شديدا وتذكر قول العربى :

ترى الرجل الفقير فتزدريه
وفى أثوابه أسد هصور
ويعجبك الطرير فتبتليه
فيخلف ظنك الرجل الطرير

وقول الآخر :

أبُنَيَّ إن من الرجال بهيمة
فى صورة الرجل السميع المبصر
فطن لكل مصيبة فى ماله
وإذا يصاب بدينه لم يبصر

ثم بكى بكاء شديدا واسترجع وقال : صدق اللّه العظيم فى قوله مخبرا عن الكافرين ، الذين حقروا أتباع نبيه الكريم " مانراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادى الرأى"[1] وقال إنا نظن فى أنفسنا الحكمة والسياسة ونحتقر النساك ، وإذا بهم هم الرجال ، ثم قال لأبى تراب : هل ترضى بى لك خادما فقد صرت على تقصيرى نادما ؟ ولكن يا سيدى بين لى كيف الخلاص من ضيق ما خاص ؟ .

أبو تراب : أنت الذى جلبت هذا لنفسك ، فابك فى يومك على أمسك .

ناصر : (بكي وانتحب ، وخشع بين يدى الفقير ولزم الأدب وقال) : يا سيدى ما الرأى والحيلة ؟ وما العمل والوسيلة ؟ .

أبو تراب : اخلع ثياب ترفك . (وخلع أبو تراب ثيابه ووقف عريانا..) والبس حلة كفنك فإن الموت عز يدوم ، والراغب فى الحياة ذليل محروم ثم تناول بوصة طويلة فركب عليها يجرها وراءه ، وقبض على سيف من خشب كالصبى الذى يلعب ، وهجم عليه قائلا: لا يرد الكلام مجدا ولا يؤيد قصدا ، وعدوك أقوى منك خدعة وسياسة ، وأحرص منك على المال والرياسة ، ثم وقف يكرر مخاطبا بطنه :

يا بطن أنت عدوتى
جوعى أنل أمنيتى

ثم ضربها بالسيف وخاطب ذكره قائلا :

أنت العدو تقودنى
للنار حال الغفلة

---

(١) سورة هود آية ٢٧ .

ثم ضربه بالسيف وخاطب لسانه :

نعم لساني قادني

للذل بعد العزة

وأخرجه وضربه بالسيف ، ثم نظر وقال : يا ناصر إذا قهرت أعداءك فيك بسيف الشريعة بلغت الدرجة الرفيعة ، وعاد لك المجد القديم ، وذل لك العدو الرجيم .

ناصر : فهمت إشارته ، وأدركت عبارته ، ودنوت منه ففر منى وقال: إليك عنى ، فرجعت إلى بيتى وقد وضح لى السبيل ، وقام الدليل.

مواضع العبرة والعظة فى هذه القصة

فى قصة (المجذوب والسياسى) .. إستطاع الإمام المجدد أبو العزائم رضى الله عنه أن يقدم للأمة الأجابة على سؤال هام دائماً ما يثور ويتردد فى كل عصر وجيل وهذا السؤال الهام هو : من الاقدر على قيادة الامة الإسلامية ، والإمساك بدفة السفينة الإسلامية ؟!

هل هم أهل القداسة ؟! أم أهل السياسة ؟!

أيهما أقدر على الفهم والوعى وحراسة العقيدة وسدانة الرسالة ؟!

(فناصر) ، فى قصة المجذوب والسياسى ، هو رمز لاهل السياسة ، الذين إعتمدوا على مهارتهم العلمية والعقلية وأساليبهم الماكرة ، وطرقهم الدبلوماسية ، ومناهجهم الميكافيلية التى تجعلهم متسلطين على أبناء الامة ولو بالحديد والنار والسجون والمعتقلات وقوانين الطوارىء والدساتير الوضعية .. إلخ

(والمجذوب أبو تراب) ، يرمز إلى أهل الله من العلماء الربانيين أهل الخشية من

الله تعالى والادب معه ، الذين منحهم الله الفقه فى دينه ، وأعطاهم الحكمة وفصل الخطاب ، فكانوا أهل القداسة .. وهم الأحق بطهرهم وصفائهم بقيادة الامة .. كما قال الإمام عليّ بن ابى طالب كرم الله وجهه : " نحن الشعار والأصحاب والخزنة والابواب ولا تؤتى البيوت إلا من أبوابها ، ومن أتاها من غير أبوابها سمى سارقاً " .

والأزمة القائمة فى الأمة تكمن فى غرور أهل السياسة ، وإبتعادهم عن أهل القداسة ، وظنهم الخاطىء أنهم سيحلون مشكلات الأمة بالطرق الدبلوماسية ، والمهارة السياسية ، في حين أن الطرق الدبلوماسية لم تقهر عدواً ، ولم تعز وطناً ولم تطرد أبداً غاصباً ولا محتلاً !!

والإمام المجدد أبو العزائم يقدم الحل للأمة فى قصة المجذوب والسياسى . والحل فى نظره يكمن فى تسليم أهل السياسة لأهل القداسة ، كما كان الخلفاء يفعلون فى عهود السلف الصالح . ولذا نجد أن (ناصر السياسى) .. فى نهاية القصة يعترف بعجزه ، ويشهده الله قيمة أهل القداسة فيقول : (إنا نظن فى أنفسنا الحكمة والسياسة ، ونحتقر النساك ، وإذا بهم هم الرجال) .

الصالح واللص والسكرى

من عجائب الاتفاق أنه خرج الصالح من بيته فى جوف الليل يتهجد فى المسجد، فلقيه اللص فظنه خفيرا فرماه بالرصاص، فلما سمع صوت المسكتة " البندقية" قال : يا حفيظ يا سلام، فحفظه اللّه، فعجب اللص واعتقد أنها كرامة ودنا من الصالح .

اللص : سامحنى أنا ظننتك حرامى .

الصالح : لست حرامى أنا متوجه إلى المسجد لأصلى ركعتين فى جوف الليل .

اللص : خروجك فى هذا الوقت خطر .

الصالح : إنما الخطر على من خرج ليغضب اللّه، وأما الذى يخرج لطاعة اللّه يحفظه اللّه، وبينما هما يتكلمان مر بهما سكران أفسد الخمر عقله، وأنهك قوّته، وفى جيبه زجاجة خمر، فلما لقيهما أخرجها وناولها للصالح .

الصالح ، أخذها منه وقال للص : انظر يا أخى إلى هذا المسكين، كان إنسانا فصار أقل من البهيم .

اللص ، أراد أن يأخذ ثياب السكران وماله بحيلة، فقال للصالح : هذا عاقل لم ينقص عقله .

الصالح : لا ، بل هو لا يحس بشىء .

اللص : إذن اسمح لى أن أمتحن عقله .

الصالح : لا يحتاج إلى امتحان، الأمر ظاهر .

اللص : دعنى أمتحنه . والتفت إلى السكران وقال : هات المال الذى معك ، فأعطاه ما معه، فقال : اخلع ثيابك .. فخلع ثيابه .

الصالح : (يقول للص) : لو أن هذا اتقى اللّه، هل كان يضيع عقله ويسلم فى ماله وثيابه؟! إن المسلم إذا عصي اللّه تعالى انتقم منه .

اللص : أنا رأيت كثيراً يفعلون الكبائر ولم يحصل لهم مضرة .

الصالح : المضرة يا أخى أنواع كثيرة : منها العقوبة البدنية، ومنها سلب التوفيق من العبد، ومنها مسخ الإنسان حتى يكون إنساناً فى الشكل وهو سبع فى الحقيقة يقتل الناس ويفترسهم، أو كلبا يؤذى الناس، أو ثعبانا .

وأنت ترى اللص الذى يخرج فى الليل لأجل سرقة الأمتعة وقتل الناس إنسانا ؟ لا - بل هو سبع كاسر مسخه اللّه، لأنه أغضب اللّه، وكيف يكون الإنسان الذى يخرج فى الليل ليقتل وينهب إنساناً نظيره أو أخاه المسلم من جنس الإنسان ؟! لا شك أن اللّه مسخه وهو لا يشعر بذلك، والسكران هذا لم يضر غيره ولكن أضر نفسه، ولكن اللص أضر نفسه وأضر غيره، فهو عدو نفسه وعدو رسول اللّه ﷺ .

السكرى : أنا فين ؟ وفين أمّال تفيده زوجتى ؟ ثم نظر إلى نور القمر على الأرض فظنه ماء فقال : أنا أغتسل فى هذا الماء وأروح نظيف .

الصالح : بكى حزنا عليه وقال : عجبا لمن يبيع عقله وشرفه، ويضيع ماله ودينه، بشرب شراب غض المذاق، سيىء البلع، ممزق للكبد، مفسد للمعدة .

اللص : أنا أعتقد أن الحرامى خير من السكرى، وأحسن نأخذ ثيابه وماله ونتركه .

الصالح : الإنسان إذا لم يرحم لا يرحمه اللّه، وأما اللص شيطان ووحش، لأن هذا السكرى أضر نفسه فقط، لكن اللص يخلد فى النار والغالب أنه يموت كافرا .

اللص : هو اللص يموت كافر ؟ .

الصالح : نعم ، لأن الذى يقتل يخلد فى النار، وربنا سبحانه وتعالى يعذبه فى الدنيا والآخرة، لكن الذى يشرب الخمر يعجل له ربنا العقوبة بسرعة، وأنت تنظر بعينيك، ضاع عقله وماله، وثيابه ودينه، وصحته

وجاهه، وأنا أصحبه رحمة به لما أوصله لحد بيته .

اللص ، رق قلبه وأخبر الصالح بحاله .

الصالح : (قال له) : تب إلى الله وتوجه معه السكران إلى منزله، فلما وصلوا المنزل وجدوا الباب مفتوحا، فدخلوا به فوجدوا أمه تبكى، وزوجته خرجت تفتش عليه فى الخمامير، هى وابنته، فزاد حزن الصالح، وأسف التائب، وسألا أمه فقالت : إنه فلان بن فلان، أبقى له أبوه خيرا كثيرا، فاجتمع عليه رجل فاسد فأضاع كل المال، ولم يبق عندنا ما نقتات به .

مواضع العبرة والعظة فى هذه القصة

دائماً ما يبدأ أعداء الإسلام بإفساد الحياة الإجتماعية فى الأمة الإسلامية ، للوصول إلى أغراضهم السياسية .

وفى قصة (الصالح واللص والسُّكرى) .. إشارة إلى هذه الحقيقة فالاستعمار الغربى كان يبدأ الهجمة على كل بلد إسلامى .. بجيوش من البغايا اللاتى يحملن عضال الأمراض من السيلان ثم الإيدز .. إلخ

وكذا جيوش الخمر والميسر وجميع أنواع الموبقات والمحرمات ، مع تشييد أماكن اللهو والخلاعة ، بحيث يصبح المسلمون كالبهائم الراتعة ، لا حلال ولا حرام ، ولا دين يعصم النفوس ، ولا قوة تدفع الرذائل .. ولذا نجد أن حملة نابليون بونابرت حين أتت إلى مصر ، دفعت بعلماء فرنسيين جاءت بهم ، لينتشروا فى كل بقاع مصر ، لدراسة الحياة الأجتماعية للشعب المصرى ، ليسهل ضربه وقيادته بعد ذلك ، وقدموا تلك الدراسة فى كتاب : (وصف مصر) .

والإمام المجدد أبو العزائم رضى الله عنه يكشف عن هذا الجانب ، ويبين تلك القضية ، فى هذا الحوار الرائع بين (الصالح واللص والسكرى)

(فالصالح) ، فى هذه القصة يشير للمسلم الكامل ، الذى بغيته هداية الخلق ، وجذبهم إلى حظيرة الحق ، وإخراجهم من الظلمات والشهوات إلى نور الإسلام والإيمان .

(والسكرى) ، رمز للمسلم العاصى ، المتعدى لحدود ربه ، المستحل لحرمات الله ، الذى خدعه (اللص) بما قدمه له من البغايا والخمور والمخدرات وصالات الميسر وأماكن اللهو والخلاعة والأفلام الهابطة والمسلسلات الماجنة المحطمة للروابط الأسرية والأخلاق الإسلامية .

(واللص) ، هو عدو الإسلام المخادع ، الذى يغرر بالمسلم الغافل ، فيسلب منه عقله وماله وثيابه وصحته بل ودينه !! ولا علاج لهذا الفساد الإجتماعى ، إلا بوجود الصالحين فى الأمة ، فهم سرج الهداية ، ومصابيح الدلالة ، الذين يأخذون بأيدى العصاة والمذنبين والغافلين إلى رحاب رب العالمين .

الفلاح المصري
والتاجر الهندى والمخدوع العراقى

إن الكلام لفى الفؤاد وإنما
جعل اللسان على الفؤاد دليلا

إهتم مؤرخ شهير أن يعلم شيئا عن الهند والعراق ومصر وهو فى سفر، فتعرف برجل من كل أمة، فكان المصرى فلاحا والهندى تاجرا والعراقى عونا للظلمة، فأحب المؤرخ أن يسمع منهم من غير أن يفتتحهم بسؤال، ليصل إلى الحقيقة من غير تكلف منهم، فإن المسئول ليس كالمتكلم بوجد من غير سؤال .

المخدوع العراقي: كنا نكره هؤلاء ولكنا أحببناهم لما عملوه من الخير انظر إلى الحرية، الواحد منا يسهر طول الليل فى أنس وبسط ولذة لا يخاف من المتكبرين، فيجلس الفقير مع الغنى فى القهوة والخمارة، ويخرج فيجد أبواب الكراخانات مفتحة، ويجد العساكر واقفة بالسلاح، وإذا احتاج للمال يروح البنك يأخذ كل شيء يريده، وإذا زعله أبوه والا العمدة يروح يوقفه أمام الحاكم يهينه ويحبسه، وبنت أعظم عظيم تطلع على حريتها تروح بيوت الكرخانة، وتروح بيوت السر، لا يقدر أبوها حتى يضربها بيده، بعد أن كانوا زمان إذا بصت البنت من الشباك أو تكلمت بكلمة صغيرة من الكلام اللى يسر النفس، أو أى إنسان يمر عليها ويلقاها ويا رجل آخر يضربها أبوها أو أى واحد ، والإنسان فى البلد زى الأسير ما يقدرش يعمل حاجة ، وكانت البهائم فى حرية عنا، كنت تشوف الجديان والحمير فرحانين ببعض ما فيش حبس حرية، لكن احنا الآن لا يمنعنا الجماعة اللى عاملين نفسهم عقلا من غير حق .

الفلاح المصري : كل ما عون ينضح ما فيه أنا سمعت إن في الغابة

حيوان زى الإنسان من نوع القردة، وكنت لا أصدق لكنى الآن صدقت الخبر والحقيقة أن هذا الرجل العراقى هو ذلك الحيوان اللى سمعت عنه ، يا مسكين الناس الذين تمدحهم وحوش فى صورة ثعالب، كرهوا الخير لك فسلبوا منك الأسباب التى تنال الخير بها، وهى الدين والعفة والرحمة، وجعلوك أدنى من البهائم ، مع أن الفرس التى ينظفوها كل يوم مرتين، ويطعموها أجود الأكل، تحس بالذل عند ركوبهم عليها، فكيف يفهم الحيوان ضررهم وينفر منهم .

وأنت يا إنسان تجهل ما يريدونه منك ؟!

صحيح زمان كان والدى يضربنى إذا أخرت صلاة الصبح، وإذا سمع منى كلمة لا تليق بالأدب، وإذا تأخرت بعد العشاء ولو فى مصلحة، وكانت والدتى إذا رأت أختى تكشف يدها أو تلبس ثوباً ملوناً تضربها وتوجعها، وكان الرجل إذا مشى بعد المغرب مع المرأة يعايروه الناس كلهم، وكان العمدة بتاع البلد إذا غاب عن صلاة الجماعة فى المسجد كل أهل البلد يحقرونه ولا يتوجهون إليه للصلح .

وكان الذى يشتكى جاره يفضحونه ، وكل أهل البلد يعايروه، ولأنه لم يسامح جاره ، وعمرى قبل ما نرى هؤلاء الناس لم أر رجلا وزوجته فى المحكمة، ولا أخا مع أخيه فى المحكمة، ولم أر محضراً حجز على واحد فى بلدنا أبدا، ولم أسمع بالربا، وكان الرجل منا يروح بيت جاره فيدخل مخزنه ويأخذ منه التقاوى، حتي كنا نأخذ العيش من بعضنا، وكان أكثرأكلنا وشربنا علي المساطب بَرّا الباب .

وعادتنا أن الرجل إذا عمل فرح والا محزنة لا يغرم ولا قرش واحد، بل كل جيرانه يقوموا له بلوازمه، فكانت البلد كأنها عائلة واحدة، إمام المسجد وخطيبه أبوهم، والعمدة خدامه، وكنا نجتمع معه في النهار خمس مرات، نسمع منه العلم ، ويقوم الواحد منا يقول لزوجته وأولاده الكلام اللى سمعه من الشيخ، كان الولد الصغير يستحى يكلم الكبير

عنه، كنا زمان فى أيام الزراعة كلنا نزرع لبعضنا، فيستعمل كل واحد منا حيوانات وآلات إخوته، عمرى ما سمعت إن واحد تخاصم مع الثانى لأجل سقية الزرع، وكنا نزرع البرسيم لتأكله حيوانات الفقراء مع حيواناتنا، ولو سمعنا أن رجل اختلى بامرأة لعمل السوء نخرجه من البلد، ونحبس المرأة في بيتها، تبقى فضيحه لها ولأهلها تعاير بها قرايبها، فكان أفقر واحد عند غيره مثل أكبر واحد.

لما دخل بلادنا الذين تمدحهم عملوا زى ما عمل نابليون الذى حكى لنا حكايته سيدنا واحنا فى الكتاب، قال : إنه لبس ملابس الأولياء هو وقومه، ودخلوا المساجد يصلون، وزاروا العلماء، وأعطوا لهم حشيشاً كثيراً، وأهل مصر فرحوا بهم، وبعدين قاموا دخلوا الأزهر بالخيل وقتلوا العلماء والأطفال، وأظهروا المفاسد فى النساء والرجال، واحنا نسينا حكاية سيدنا، واغترينا بما أظهروه لنا من الرحمة حتى بالبهائم، قلنا في أنفسنا : ربنا رحمنا بهم، وبعدين نظرنا فوجدناهم زي الميه اللى تحت تبن، توقع الجدران على أهلها من غير ما يشعروا.

أفسدوا العقائد والعوائد والأخلاق، فلو أن سيدنا قام من الطربة ورأى حالتنا لأنكرنا، كان يقول : فين المسلمين ؟ وأين دور النسيج والغزل وصناعة الطرابيش والجلود والصباغة ؟ وأين الحرف والفنون اللى كانت فى البلد كثير ؟ وأين أصحاب الأطيان الواسعة ؟ وأين الذين كانوا يجتمعون فى المساجد بالليل لقراءة الأوراد ؟ وأين الوجوه الجميلة الإسلامية التى كان الإنسان يراها مجملة باللحية ؟ .

ومالى أرى النساء أصبحن كالإماء ظاهرة عوراتهن ؟ وكنت أمشى في البلد طول النهار لا أرى امرأة واقفة على بابها ، وإنى أرى النساء فى الأسواق مكشوفات العورات !! .

وأين الحياء الذى كان بين الناس ؟! كنا نستحى نأكل فى الأسواق ، وكان يقول : مالى أرى الناس يخرج الدخان من بطنهم !! لا حول ولا

قوة إلا بالله

فكيف إذا ظهر سيدنا عمر بن الخطاب ورأى حالة البلاد التى فتحها بدم الصحابة ؟!!!

أيها العراقى أيام تمسكك بدينك كنت راقيا هل جهلت أم تجاهلت؟! هل إن يسلب الحريةَ منك العقلُ تنحط إلى رتبة البهائم ؟! كنت عزيزا فأذلك المغتصبون ، وكنت غنيا فسلبوا الغنى ونشروا بينك رجالا يقبحون الدين ، وأظهروا ما تنفر منه نفوس البهائم من العهارة والخمور والميسر والربا ، وسلبوا العلوم النافعة والآداب الفاضلة بعد سلب الصناعات والسلاح ، فانظر إلى نفسك وابكى عليها . وبكى الفلاح حتى أبكى الحاضرين وقال : كان عندى خزانة من المال أنفع بها الجيران، وكان عندى ميت فدان أعين بها الضيفان ، فعلمت ابنى فى المدرسة فقهرنى على التمدن ، فبنى بيتا كبيوتهم وأنفق ماله فى بلادهم ، فأصبح الآن يرعى البهائم عند رجل أفرنجى ، يعض أصابعه ندما ، وهو الآن معتقل ، لأنه كان مغروراً بهم فانكشفت له نواياهم .

أيها العراقى لا تكن سببا فى انتشار الطاعون الاجتماعى بين قومك واعلم أن تبسيمة السباع فاتحة الضياع .

بكى الهندى وأبكى .

الهندى : أيها الفلاح المصرى إن كل مسلم يحب الناس الذين يكرهون دين الله لابد أن يكون أبوه منهم ، وأنت تعلم أن العراقى غش المسلمين ، وقام مع العدوين بقتل المسلمين لأجل أن يطفىء نور النبى معهم بمحاربة خليفة النبى عليه الصلاة والسلام ، هذا العراقى أحب الكفار وكره المؤمنين لأجل المال والرياسة ، والذى يبيع دينه بالدنيا ويسفك دم المسلمين بسيف الكافرين فى حرم رب العالمين ، ويقوم مع المنافقين يسفك دماء المسلمين ويذل أنصار رب العالمين عند بيت المقدس ولم يخش الله تعالى - لا فى الحرم المكى ولا فى الحرم الشامى - اسألوا يا

مصرى يا فلاح قل له : كنت بتساعد مين على مين ؟ وكنت تقتل مين بسيف مين ؟ .

هو العراقى أول أمس كان يسفك دماء المسلمين بسيف الكافرين ، وأمس كان واقف يقول أنا صديق الإنجليز ويجب على العرب أن يصادقوهم ، والعربى الذى لا يصادقهم عدو بلادهم .

وفى بلادك يا فلاح رجال كثيرين مثل العراقى ، ولكن الحمد للّه الحق يعلو ولا يعلى عليه ، إحنا كنا فى الهند مغرورين أكثر منكم ، وكنا نفتخر بيهم ، ولكن بعد ذلك غلب الطبع التطبع .

أنت تسمع فى التاريخ علوم الهند وصناعتها وتجارتها وقوة ملكها وكثرة إيراداتها ، كل ذلك ذهب وسلبه هؤلاء الناس بسبب مثل هذا العراقى ، وبعد أن استخدموهم فى ضرر قومهم أذلوهم ذل الكلاب ، والحقيقة ظهرت ، والعداوة فى القلوب تأسست ، وإحنا والحمد للّه قمنا من نوم الغفلة ، وصار العراقى وأمثاله معلومين للمجتمع الإسلامى ، ولولا أننا محرمون بالحج كنا رَيَّحنا العالم منه ، ولكن له يوم ، وأنا أبشرك يا فلاح أننا فى بلادنا اتحدنا مع الهندوس على طرد الظلمة ، وربنا سبحانه وتعالى نبه كل أمم بلادنا ، ولم يبق فى آسيا كلها إلا العراقى وأبوه وأخوه ، ودول ربنا كشف الستر عنهم وكرههم حتى أتباعهم .

وأنت ترى حالة مراكش والجزائر وتونس وطرابلس ومصر والشام ، وحركة العراق والحجاز ، وتعلم أعمال أنصار الدين فى الأناضول وبلاد العجم وأفغانستان وغيرها ، وأظنك تسمع أن جزء من بلاد الإنجليز وهو من جنسهم ، ودا كله من ظلمهم للعباد .

العراقى لما سمع كلام المصرى والهندى دخل فى قلبه الرعب ، وتذكر أعمال الظالمين ، وعلم أن الدنيا فانية ، وبكى على نفسه وتحقق أنه ظلم نفسه بفرحة بالدنيا ، وسأل الهندى كيف الخلاص ؟ فأجابه الفلاح المصرى أبواب الخلاص مفتوحة قدامك الجيش الإنجليزى خرج

من عندك ، والمسلمين اللى وياك كلهم يحبون اللّه ورسوله ، فانصحهم واجمعهم وارجع إلى ما كنت عليه مع خليفة رسول اللّه ﷺ وأنصاره ، فإنك تنال العز فى الدنيا والسعادة فى الآخرة .

أنت يا عراقى مهما بلغت درجتك من القوة والملك لا تخرج عن كونك عبد للإنجليز ، أنا شفت بعينى فى مصر واحد من المعسكرين الإنجليز عندنا ينفذ كل شىء ، والحكومة كلها خدامة له ، ومصر دولة قديمة قوية من قديم ، وأنت يا مسكين لم تكن ملكا ولا سلطاناً ، وهم أعطوك الملك لتكون عبدا لهم مطيعا ، كيف تتمنى العز وأنت أذل الناس لهم ؟! تدارك نفسك قبل الموت وانصح قرايبك فإن القهار لا ينام ، والظالم لا يأمن نقمة الله تعالى ، لأنه سبحانه وتعالى يقول ﴿ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار﴾[1] .

الهندى : إن الأعداء يبذلون المال ليفرقوا بين المسلمين ﴿يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون﴾[2] أفسدوا الحجاز والعراق والشام واليمن ومصر، عداوة للّه ورسوله والخليفة المسلمين ، كما قال اللّه تعالى : ﴿يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى اللّه إلا أن يتم نوره﴾[3] وكل إنسان لا يقبل النصيحة عرض نفسه لنقمة القهار المنتقم ، فإن لم يبادر قبل النقمة يندم ولا ينفعه الندم .

واحنا والحمد لله كلنا رجاء فى سرعة إغاثة اللّه لنا جماعة المسلمين، ومن معنا من أهل الذمة .

المؤرخ عجب لبساطة الثلاثة وجهلهم ولقوة شعورهم ، واعتقد أن هذا الشعور أحدثه حوادث مؤلمة ، وتبين له أن ظلم أوروبا أغضب اللّه

---

(١) سورة هود آية ١١٣ .

(٢) سورة البقرة آية ٩ .

(٣) سورة التوبة آية ٣٢ .

تعالى ، فسلب ما كان لهم من الثقة فى قلوب الشرقيين ، وتحقق غضب الله على أوروبا ، وسرعة نزول النقم بهم .

مواضع العبرة والعظة من هذه القصة

فى قصة (الفلاح المصرى والتاجر الهندى والمخدوع العراقى) ، يكشف الإمام المجدد أبو العزائم رضى الله عنه عن نوعين من أبناء الأمة ، ويبين درجة الفهم لديهما بالنسبة للمخططات الاستعمارية ، ومكائد أعداء الدين .

(فالمخدوع العراقى) ، فى هذه القصة رمز لنوع أو لبعض أبناء الأمة الإسلامية ، الذين تخدعهم أساليب المستعمرين وأقوالهم . مثل : الإصلاح - تحرير الرقيق - الرفق بالحيوانات - الرحمة بالمرضى - مصر للمصريين - حقوق الإنسان - السلام العالمى - الشرعية الدولية - النظام العالمى الجديد .. تلك هى أقوال المستعمرين وأعداء الإسلام ، التى خدعوا بها الجهلاء والذين فى قلوبهم مرض من أبناء الأمة ، ممن تربوا فى جامعات أوربا وامريكا ، فقاموا يروجون افكار الغرب ، مجاهرين بذلك ، وهم بين ظهرانينا .

(والفلاح المصرى والتاجر الهندى) ، فى هذه القصة ، يمثلان جيل الفهم والوعى والإدراك فى هذه الأمة ، فهما يعلمان أن شعارات تحرير العبيد - الرفق بالحيوان - الشرعية الدولية - حقوق الانسان ، التى يبثها الغرب ، ما هى إلا طليعة المدافع والطائرات ، وجيوش الإدارة والتدمير !!

وإسألوا البوسنة والهرسك والصومال وغيرها

وها هو (الفلاح المصرى) ، الفاهم المدرك يبين (للمخدوع العراقى) حقيقة هؤلاء المستعمرين قائلاً : (يامسكين ، الناس الذين تمدحهم وحوش فى صورة ثعالب ، كرهوا الخير لك ، فسلبوا منك الأسباب التى تنال الخير بها ، وهى الدين والعفة والرحمة ، وجعلوك أدنى من البهائم) .

وها هو (التاجر الهندى) ، يحذر المخدوع العراقى من موالاة الكافرين على حساب المسلمين .

نعم .. مازالت الشعوب الإسلامية تعيش أوهام المخدوع العراقى فأصبح لدينا المخدوع المصرى - السورى - الأردنى - المغربى - التركى - الباكستانى .... إلخ .

والأمل في القلة القليلة من أبناء الأمة الإسلامية الذين فهموا وأدركوا تلك المخططات الأستعمارية ، فهم النواة لعودة المجد الذى فقده المسلمون .

الفلاح والحكيم

الفلاح : إلى متى يا رباه هذا العسر إذا ما انقضت أزمة تبعتها أخرى، وإذا ما انتهت حرب نشبت حروب ، وإذا ما تخلصنا من مأزق تولانا مأزق ضيق عالى ، آفة زراعية ، أو كربة نفسية .

الحكيم : رويدك يا هذا :

لا تيأسن فبعد العسر تيسير
من الإله وبعد الكسر تجبير
إن العباد لهم رب يدبرهم
وفوق تدبيرهم لله تدبير

تقول : توالت الأزمات، وتتابعت الكربات، ومالك لم تذكر نعم الله من أرزاق وأقوات وطيبات وحسنات !! ﴿إن الإنسان خلق هلوعاً إذا مسه الشر جزوعاً وإذا مسه الخير منوعاً﴾[1] صدق الله العظيم . ترفل يا هذا فى نعم لا حصر لها، وتنفر بمجرد حصول مالا تأنس إليه !! حقيقة أن الانسان بطبعه خلق ميالاً للكسب، ولوعا بالمسرة، ولكن لابد لهذا من ثمن هو مشاق الحياة وغضاضة العيش .

تشكو أزمات ويشكوها معك بنو آدم ، أما دروا أن ذلك ما قرفته أيديهم ومشتهيات نفوسهم من تطوحاتهم فى سبل الغرور ، وارتمائهم فى أحضان الشهوات ، ولما لم يصلوا لغاية عاودوا فتناهشوا بعضهم حبا

---

(١) سورة المعارج آية ١٩ .

فى الاستئثار بالنافع ، وقاموا وأنت منهم يتذمرون ويشكون وهم المقترفون المتسولون ، قال رسول الله ﷺ : " كما تكونوا يول عليكم"(١) نبيئه بالغة تخبرنا أنه كيفما يكون عليه الإنسان من الحالة زراعيةأو تجارية أو نفسانية كانت أو خيرية يحاسب عليها ، فاشك نفسك لنفسك ، وفوض أمرك لربك .

الفلاح: قول صحيح وعظة صادقة ، ولكنك لو علمت أيها الحكيم أنك تعالج بدنا بعد ما نخرته الأمراض، وتوالت به عليه العلل ، فقلَّ معه الأمل، وانقطع فيه الرجاء . تحاول صحيحا ولكن مع غير صحيح ، بقولك مسلّم، وبنصحك راضٍ، إلا أنى لا أمل لى فى أن أعالج كثيرا مع هذه الحالة ، وكان أولى بك أن تنتشلنى من المرض ، وبعد ذلك تؤنب .. مثلك أيها الواعظ معى كالسائح الذى أبصر غريقا يتخبط فى الماء يطفو به الأمل ، ويغوص به اليأس ، فأخذ السائح فى تقريعه وفى إساءته، على أن من لم يحسن السباحة لا يتعرض للبحار . فناداه الغريق بألفاظ يقطعها اليأس : نجنى وبعد ذلك لك ما بدا لك، فإنك بذلك تزيد همى وتقرب أجلى، أما كفاك محاربة أمواج ومعاناة أرياح وتقطع أنفاس !! فقال له السائح : صدقت، ورجع من حيث أتى فتغلب عليه الماء وكان من المغرقين . لومك هذا معى كحكاية هذا السائح، ولكن كان الغريق يحارب عدواً واحداً وهو الماء، وأنا أحارب جيشا من فوارس الدهر.

الحكيم : يظهر لى أنك أقدر منى وأحق بالوعظ عنى، ولكن يا أخاه ما الذى دهاك وضاعف بلواك ؟ إذا عرفت السبب بطل العجب .

الفلاح : خلقت مع أمثالى من سكان الريف على فطرتى وفطرتهم، نرضى بالقليل ونكتفى بالقليل، وكانوا كلما تطوحوا ناحية من التظاهر سرت سيرهم، والمرء بطبعه مقلد، وبفطرته محب لنفسه، فإذا تمكنت أن

---

(١) أورده المتقى الهندى فى كنز العمال ١٤٩٧٢ والسيوطى فى الحاوى للفتاوى ١/٥٥٥ وفى الدرر المنثرة ١٢٥ وفى الدر المنثور ٣/٤٦ والتبريزى فى مشكاة المصابيح ٣٧١٧ .

تستأصل ذلك من طبع بنى الإنسان كنت أحق بهذا اللوم وأولى . تدرجت كغيرى باعاً ثم ذراعا، وواصلت السير وما التفت غير بعيد إلا ورأيت صعوبة الرجوع وبعد الشقة، وكان قد حاول دون ذلك ذئاب الإنسانية : من يأكلون أموال الناس بالباطل بين المرابى فلان والراهق فلان والطامع فلان، هذا مع دافع من النفس إلى مواصلة السير، والنفس أعدى عدوك التي بين جنبيك، عصت الله فعذبت نفسها، وأطاعت الشيطان فَأَنَّث، وأَنَّ أبناءُ هذه النفس.

الحكيم : حسنا تقول، وكل شيء تستحسنه فهو كذلك بما تصنع له من التعليلات، أو تستقبحه فهو كذلك بما تستشهد به من الأسباب، غير أنه لايستوى الحق والباطل، ولاتستوى الظلمات والنور، فيا أخاه لو لم تغوك الغواية لكنت غيرك الآن. الخير واقع والشر واقع غير أن هناك خلافا بين الأمرين، وتبيانا بين السبيلين، فلو كنت من طبعك توفق لكليهما لبلوته لامحالة، لأنى أخاطب الآن مواقفا للخير، لأن النفس بطبعها فيها استعداد كثير لذلك، كما فيها من غيره، والمرء على ما يقوم من نفسه عليه، وهو فرد فى مجموع، ومجموع فى فرد، وهبه الله قوة مدركة، وعينا بصيرة، فما عذره بعد ذلك؟! .

الفلاح : هبنى كما قلت ، فما هو الحكم الآن؟ .

الحكيم : الحكم عندى يا أخاه أن يستعجم عودك فإن كان خلافه ما يطيب لك وهو لاشك كذلك، هان عليك أن تقف وقفة الحازم متدبرا فيما كان وما سيكون، مسكناً لمهيجاتك بما ينفع من صحيح المسكنات، فتسكنه اضطراباتك فتقف معك حالتك ما علمك الدهر، وحسب الدهر ما ترتاح إليه النفس من رواياته الدائمة التمثيل، وفصوله المتتابعة، والتاريخ يعيد نفسه، والليالى بعضها شهود، وأنت بما استأنسته فيك من غزارة المعرفة وبعد النظر، وإن كانت جمحت بك الأيام وشط بك الغرور، فهذا لا يزيدك إلا دراية بما أنت، والاستقامة خير مبدأ، والقرآن

خير دليل، والله ولى الصابرين، فهو رب العالمين وأرحم الراحمين.

الفلاح : "قل لا يستوى الخبيث والطيب"[1] صدق الله العظيم بقولك هذا أيها الحكيم شفيت علتى، وكأنى بتعاليمك هذه أنيب اليوم ولم يسبقك من سبقت نصيحته نصيحتك، ولقد بعثك الله لهدايتى وهو خير الراشدين.

مواضع العبرة والعظة فى هذه القصة

فى قصة (الفلاح والحكيم) ، بيان للأسلوب الأمثل فى الدعوة إلى الله تعالى ، وهو الأسلوب الذى بينه القرآن المجيد فى قوله تعالى : ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن ﴾ .

(فالحكيم) ، فى هذه القصة رمز للدعاة الهداة رواد الدعوة الإسلامية الوسطية ، الذين يأخذون بأيدى أبناء الأمة بعيداً عن البغاة والغلاة .

فلقد استطاع (الحكيم) .. بكل صبر وحكمة وحلم وأناة ، أن يهدى (الفلاح) ، الذى يرمز للمسلم الراغب فى النجاة ، والذى يحتاج إلى حكيم يبين له آداب السلوك إلى ملك الملوك ، ويكشف له معارج المقربين ، ويسقيه بعد ذلك من الطهور المدار على قلوب الأبرار وهذا (الفلاح) .. الذى يمثل المسلم الراغب فى الوصول ، كغريق يتخبط فى ماء البحر ، كما عبر هو عن نفسه ، يطفو به الأمل ، ويغوص به اليأس ، يحتاج إلى من يمد له طوق النجاة لإنتشاله من حيرته .. بدلاً من لومه وتعنيفه .

إن الأمة الإسلامية اليوم فى حاجة ماسة إلى أسلوب (الحكيم) ومنهجه فى الدعوة ، خاصة وان الأمة باتت تعانى من أساليب البغاة والغلاة !!

(البغاة) ، الذين خرجوا على إجماع الأمة وشقوا عصا الطاعة ، وصار همهم التكفير والتشريك والتحقير للمسلمين .

(والغلاة) ، من المتمصوفة الذين تركوا التكاليف الشرعية ، وزعموا الوصول للحقيقة بترك الشريعة .

---

(١) سورة المائدة آية ١٠٠ .

ولا وصول إلا بمنهج (الحكيم) كما بينه الإمام المجدد أبو العزائم فى قصة (الفلاح والحكيم) .

السائح فى الأرض والسابح فى السماء

اصطحب طالب علم وتلميذ من سن الطفولية، وكان الطالب اسمه متدبر، والتلميذ مفكر، فشب الطالب على التدبر فى شئون الكون، وتغيراته، وما يحدث فيه من تغير الأحوال. وشب التلميذ على حب الاستطلاع على الآثار الأرضية، وعلم مراتب الجمادات، والنباتات، والحيوانات. ونما فى كل واحد منهما ما هو مفطور عليه، وكان كل واحد يدعو الآخر إلى ما يحبه لنفسه، ثم حصلت المنافسة بينهما، فأدت إلى إقامة كل واحد منهما الحجة على صحة مبدئه ومقصده، وكان متدبر أقواهما حجة، ومفكر أقواهما تمسكا، فعين لهما مجلساً فى نهاية كل شهر، يعرض كل واحد منهما على الآخر مباحثه ونتائج مجاهداته.

متدبر : نظر من صغره إلى نفسه فعلم بعد أن تلقى العقيدة الإسلامية، ومبادىء أحكام الشريعة أن الأحكام الشرعية لم يطالب بها هذا الجسم مجرداً عن نور فيه زائد على قوى الحيوان، إذ لو كان حيواناً مجرداً لما طولب بتلك الأحكام، ولا بلغ تلك المنازل العلية، منازل القرب من اللّه، والحب فى اللّه، والإخلاص والإحسان إلى العالم أجمع، بالرحمة والعاطفة، فنظر بشوق إلى سير هذا النور المودع فى الإنسان، وجاهد نفسه حتى تخلصت من الميل إلى مقتضيات الجسم ولوازمه، فزكت نفسه، وأنس بلذة فى الوحدة حتى ترك طيب الأكل، ولين الثياب، وراحة النوم، والرغبة فى النساء، وسبح بفكره فى تلك الآفاق متخيلاً تارة، ومتوهماً أخرى .

تجرد عن كل تلك المقتضيات للفيض القدسى، فكانت تشرق عليه أنوار عرفان كالبرق الساطع، لا يلبث سطوعها إلا ريثما تحجب عنه، فكان فى تلك الأنفاس ينبسط وينقبض، فإذا غشته تلك الأنوار انبسط،

وإن حجبت عنه انقبض ، وكان قريباً منه عالم عارف بالنفوس ، فتوجه إليه وعرض حاله عليه ، فأمره بكثرة قراءة القرآن ، ومطالعة كتب الحديث، وتراجم العلماء العاملين، وكلفه أن يحضر مجلسه فى ليلتى الخميس والاثنين، فداوم على ذلك حتى حصلت له بهجة باستدامة هذا النور المشرق فى أوقات صفائه، ثم تذكر صاحبه مفكر فسأل عنه، فقيل: كان غائباً له شهور وحضر أمس، فزاره مفكر .

متدبر : جلس مع مفكر فنظر إليه وقال : ما الذى أحنى ظهرك وأنهك قواك وغير معالم شبابك ؟ .

متدبر : بعت رخيصاً بغال، واستبدلت فانيا بباقٍ، وأقبلت بكليتى لأنال بغيتى التى يدوم بها أنسى، وتبقى بها بهجتى .

مفكر : تبسم مستهزئا ثم بكى آسفا قائلا : الإنسان بعقله، ومن فقد عقله فقد الخير كله، كم نهيتك فلم تنته، ولو استعملت ذكاءك فى شىء نافع لانتفعت ونفعت، أضعت عشرين سنة من عمرك أتلفت فيها صحتك، وأفسدت قواك العقلية، ما الذى نلته ؟ وها أنا صار لى مال كثير، وعيال وخدم، وآمال وشهرة واسعة بأعمال، وأقص عليك نبذة من نتائج أبحاثى ...

تعلم أنى كنت أعارضك وتعارضنى، ولولا عناية اللّه بى لاتبعتك، ولكن الحمد للّه .

تعلم أن نفسى ميالة إلى علم تخطيط الأرض، ومعرفة الأنواع التى عليها من النبات والحيوانات ، وطبائع المجتمعات الإنسانية، والبحث عن عوائدهم وأخلاقهم من غير طمع فى شىء آخر، فصرفت نفائس أوقاتى فى كشف تلك الحقائق، حتى وصلت إلى قصدى، ورميت بنفسى فى لجج بحر السياحة، تارة يرفعنى وآونة يخفضنى، متحملا تلك الآلام إلى نيل البغية، ومن جد وجد، فجبت القفار، وقطعت الفيافى، وشهدت عجائب الآثار الطبيعية والصناعية، وعاشرت أكثر المجتمعات الإنسانية،

حتى علمت ما هم عليه، وبلغت مبلغاً به أتكلم مع كل مجتمع بلغته، وأبين لهم ما هم في حاجة إليه لرقيهم، حتى أحبني جميع الأمم، ووثق بي كل أمير ووزير، وطولبت أن أكون رئيسا لجمهوريات فأبيت إلا أن أتمم سياحتي.

متدبر : ما الذي يقصده غير المسلمين بالمسلمين ؟

مفكر : هذا سؤال ينبغي أن يلقى عليك جوابه في خلوة، فإن ما علمته من تلك الأسرار لا يعلمه أحد غيرى، إلا ملك أو وزير أو أمير من الأمم المناوئة للمسلمين .

متدبر : أمر بانصراف الجالسين، وأغلق باب الحجرة وأخذ القلم والدواة، وطلب من مفكر أن يجيبه على سؤاله .

مفكر : تعلم أن الإنسان ميال بطبعه إلى العاجلة، وتعلم أن بشاشة دين الإسلام إذا باشرت تلك القلوب المطهرة من تلك الأطماع ملكتها، وأن حلاوة الإسلام إذا ذاقتها ألسنة العقول سارعت إليها، مالم يحجبها طمع أو حظ وهوى، وقد ظهرت تلك البشاشة، وانتشرت تلك الحلاوة، حتى عمت مشارق الأرض ومغاربها في سنين تعد على الأصابع، فمحت في تلك المدة الوجيزة عروش الملوك وتيجانهم، وجعلت الإنسان عزيزاً، لا يرى له رباً إلا الله، حتى صارت التيجان وأصحابها أحقر من الذباب مهما ارتفع ، وأذل من الغبار مهما رفعته الريح ، وأصبح الفقير في مزرعته يشعر بالعزة بالإسلام على الملك فوق سريره ، هذا لتمسكه بقواعد الإسلام ، فانزعجت قلوب أهل التيجان وحفدتهم وأعوانهم ، وفكر في إطفاء هذا النور ولكن أبى الله إلا أن يتم نوره .

انتشر هذا النور في آسيا من جبال القوقاز إلى مياه الهند ، وفي أفريقيا من مياه البحر الأبيض إلى رأس الصالح (آخر أفريقيا جنوبا) ، وفي أوروبا من مياه البسفور إلى بحر المنش ، وعم أكثر جزر البحار شرقاً وغرباً ، تغيرت بالإسلام معالم الأرض في طولها والعرض ، وأشرقت

أنوار العدل حتى صار كل مفكر أو باحث أو حكيم فيلسوفا يسارع إلى اعتناق الإسلام مفتخراً ، وإلى العمل به شاكراً ، وما نشر الإسلام فى تلك الأصقاع إلا بشاشته وحلاوته ، وكونه هو الدين الحق ، ولم يكن سيف الإسلام إلا لدك أطوار الظلم من طغاة الملوك وظلمة الأغنياء ، وسفلة المقلدين الجهلاء ، الذين هم أشد من الطاعون ضرراً على بنى الإنسان ، وقطع عضو لحفظ الجسد أمر معقول ورحمة مشروعة . بقيت بقية من أهل الظلم عاملة سراً على إطفاء هذا النور ، ولكن الله غالب على أمره ، مكثوا زمناً يعملون فى الخفاء ، حتى انتهزوا فرصة تفرقة الدولة العباسية وتجزئة ملكها ، فقاموا بحملة شعواء مشهورة فى التاريخ ، أفسدوا فى الأرض ، وسفكوا الدماء ظلماً ، يدعون إلى باطل فى صورة حق ، وهى الحروب الصليبية ، ولكن الحق يعلو ولا يعلى عليه ، قاموا ليطفئوا نور الله بالخيبة بعد أن توغلوا فى البلاد ، ولكنهم تلقوا درساً تحققوا به مقدار نور الإسلام فى قلوب المسلمين ، الأمر الذى متى بدت منه بادرة ، أنسى كل مسلم الحروب والأهواء .

متدبر : أيها المتفكر اجهد فى البحث وأنت أيها الباحث ﴿فارجع البصر هل ترى من فطور﴾[1] واعلم أن الإنسان أقرب حيوان للتأثر بالظاهرة الكونية ، خصوصا إذا كان فارغ الفؤاد من الكمالات الإنسانية التى بها يذوق لذة التفكر فى الآثار الكونية ، التى ترجع به إلى العلم بمبدئه ونهايته ، وتحقق المشهودات والنظر إليها بالفكر العلمى ، الذى يشير إلى خواصها المودعة فيها بقوة المبدع لها ، والفكرة التى استنتجت فوائد تلك الخواص للانتفاع بها ، ويذوق لذة الإيمان بمن وهب المادة وأودع فيها الخاصية ووهب العقل المرشد لعلم تسخيرها ، بترتيب أو

(١) سورة الملك آية ٣ .

تركيب أو خلط أو مزج أو غير ذلك ، حتى يتحقق كمال التحقق بمكانة الواهب المفيض سبحانه ، ويعلم حق العلم أن هذه إنما جعلت ليستخدمها الإنسان فى منفعتين : الأولى استعمالها فى حفظ حياته وراحته . وشكر المنعم عليها بمساعدة عبيده والتقرب إليهم ، ومساواتهم بنفسه ، بحيث لو غفل عن إحدى المنفعتين كانت للضرر أقرب منها للنفع .

وإن كان السواد الأعظم تشغلهم المنفعة العاجلة فيزاحمون عليها ، ويقفون عند من وهب له الفكر فى انكشاف خواصها ، مادحين له ، شاكرين لفضله وتحصل لهم الدهشة ، ويفتخرون بمن وهب له هذا الفكر - ولو كان ممن غضب عليهم الواهب سبحانه - لأنه يهب من يشاء مما شاء ، لا لعلة ولا لغرض ، بل يظهر آياته على يد من يشاء عبرة للعباد وذكرى لآياته ، وهذه البحار والهواء والجبال والحيوانات ؛ تحدث ما يدهش العقول ويحير الألباب من المنفعة للنوع الحى ، والشمس والقمر وغيرهما من جميع الكائنات .

وكثير من الناس من إتخذ هذه الأشياء آلهة تعبد من دون المفيض للخير ، وكذلك أهل الغرة بالله تعالى - الذين غرتهم الدنيا - يكادون يعبدون من اخترع صنعة أو كشف خبيئة نسيانا للمفيض سبحانه ، وغفلة عن الحق ، حتى تهوى بهم الغرة إلى جهل الحق وإنكار الدين وإقبال على الزهو والكبر ، والتهاون بأمور الدين ﴿حتى إذا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أخذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُبلسُونَ﴾(١) وليس ذلك إلا من مجالسة أهل الغفلة ، المغرورين بعاجل الأمر ، فلا يشغلك هذا الأمر الذى هو فى الحقيقة موجب ليقظة القلب والفكر والتدبر فى آيات الله سبحانه وتعالى وكثيرا ما أوجب هذا الأمر الغلو ، حتى أنكر المغرور كثيرا من آيات الله

---

(١) سورة الأنعام آية ٤٤ .

وأوامره ، حتى أنكر مقام الألوهية ، ولم يتمتع إلا قليلا ، ثم سيق إلى القبر مغضوبا عليه ـ والعياذ بالله تعالى ـ فندم ولات حين ندم ، فتنبه أيها الناظر لهذه المظاهر ، ولا يشغلك ما به تتقرب إلى الله فتتقرب به إلى النار ، والله سبحانه وتعالى الموفق .

مواضع العبرة والعظة فى هذه القصة

فى قصة (السائح فى الأرض والسابح فى السماء) يبين الإمام المجدد أبو العزائم رضى الله عنه ، أصول الوصول لمعية الرسول ﷺ ويكشف لمريدى الوصول أيسر الطرق وأسهلها وأقربها إلى الله تعالى .

فالسائح فى الأرض (مفكر) : ينتقل بجسمه من مكان إلى مكان ..

والسابح فى السماء (متدبر) : ينتقل بقلبه من صفة إلى صفة ، ومن مشهد إلى مشهد ، وإن لم ينتقل بجسمه خطوة واحدة .

ولذا سئل بعض مشايخ الطريق ، فقيل له : هل سافرت ؟

فقال : سفر الأرض أم سفر السماء ؟ سفر الأرض (لا) ، وسفر السماء (بلى) . وجاء رجل إلى عارف بالله فقال : قطعت إليك شقة طويلة . فقال له العارف : كان يكفيك خطوة واحد ، لو سافرت عن نفسك . وقال أحدهم : جلسة خير من ألف حجة .. والمراد جلسة تجمع الهم حتى يكاشف بالأفق العلى ، فيكون قد إنتقل من أفق إلى أفق علىّ وهو فى جلسته ، لم ينتقل من مكانه .. وهذا هو حال السابح فى السماء (متدبر) ، الذى علم العلم النافع ، الموصل إلى المقصود الأعظم ، اما السائح فى الأرض (مفكر) .. فقد تلقى العلوم التى بها إعتدال اللسان والسمعة والشهرة والمنافسة فى معرفة الأمراء والوزراء ، والطمع فى الوظائف ومزاحمة كلاب الدنيا .. وشتان بين الطريقين ، وبين المنهجين فى الوصول إلى الله تعالى .

الجنة العاجلة ..
والجنة الآجلة ..

أراد رجل من أهل العراق أن يحج فركب البحر مع رفقة قاموا له بالخدمة طيلة أيام سفره ، ولما أوغل فى الأقيانوس الهندى ، عصفت الريح بالسفين فلم تبق عليها شيئا وضل الربان الطريق وتجهم الزمان واكفهر جو المكان ، وتلبدت الغيوم فارتطمت السفين بالصخور فغرقت السفين وهلك كل من فيها إلا هذا العراقى الذى كانت له دراية فى السباحة وقدرة على مقاومة الموج بالصبر الجميل .

وقذفته أمواج البحر العجاج اللجاج على شاطىء جزيرة وجد عليه أقواماً فرحين مهللين مكبرين .. جاءوا معهم بالطبول والمزامير والعيش الكثير والهوادج ذوات الأثاث الوثير .

وخرج الرجل من البحر عارياً فلا رداء عليه ، وجوعاناً لا يقوى على المشى ، فسرعان ما ألبسوه قميصا موشى بالذهب الابريز وجبة فى أحسن تطريز ، وجىء بأخزنة من الطعام عليها ما لذ وطاب ، فأكل وشرب ونام فأستيقظ والقوم بين تهليل وتكبير وفرح ومرح ما له من نظير، حتى كان اليوم السابع لقدومه عليهم فتجمع حوله القوم وألبسوه تاجاً موشى بأغلى الجواهر الحسان ، واللآلى فوق الجمان ، ونادوا به ملكا على هذه الجزيرة الأمر الذى كان لا يحلم فى سالف العصر والزمان .

وفكر الرجل وقدر فى ما آتاه الله من هذا الحظ الكثير والملك الكبير فاستوزر لديه بعض الحكماء من رجالات القوم المعدود برأيهم ، بعد أن

مكث طويلاً فى تعلم لغتهم، فلما تم له تعلم هذا اللسان، وأمكنه أن يخاطبهم بما فى الجنان ، جمعهم ذات يوم وسألهم عن هذا الحال الذى لاقاه ، والحظ الذى وافاه ، وهم يكتمون عنه أمرهم فيه ، وحرصهم على أن يوافيه ، ولكن لما تودد إليهم ووجدوا أن فضله دائما واصل لديهم ، وأنه أغرقهم بنعماه ، واستطابوا العيش معه قالوا له : أيها الملك العزيز والذهب الأبريز ، اننا كل عام نقود ملك هذه الجزيرة إلى الهاوية، قال: وما الهاوية ؟ قالوا : بئر أعددناه لأمثالك، سحيقة القاع ، سيئة المتاع، لها فى كل مكان منها أمشاط من الصلب مسنونة ، إذا هوى فيها إنسان لا يصل إلى القاع ، حتى يتبعثر جسمه فى كل مكان ، ثم بعد أن نفرغ من هذا العمل الوبيل ، نسرع إلى الشاطىء فى فرح ومرح لنستقبل من يلقيه البحر إلينا ، ليكون ذلك الملك الجليل .

فلما أن أخبروه الخبر ، وأراد أن يكون منه على حذر ، قال لهم: وكيف إذاً المفر ؟ فقال له أكبرهم سنا وأعظمهم قدرا إن الله جلت قدرته قد جعل لكل ضيق فرجا ، ولكل هم مخرجا ، سبحانه ، جعل لكل شيء قدرا ، وأرى أنه إذا طابت نفس المليك للبقاء ، فما عليه إلا أن يأمر بإصلاح هذه البلقاء قال: وما هذه البلقاء ؟ قالوا : جزيرة تبعد عنا مسيرة يومين فليعمرها ويستثمرها ، فتكون له مأوى أمين وحصن حصين، بعيدا عن غوغاء هذه الجزيرة ، وهوجاء هذه الفئة الشريرة، التى لا تعرف قدر الملوك ، بل هى تملك كل من جاءها من منبوذ مقلوك.

وصحت عزيمة هذا الملك على استصلاح هذه الجزيرة فأرسل إليها العمال والبناة، فشيدوا له قصرا عظيماً ، وأرصد لهذا العمل الجليل أموال الدولة ، فما أن قرب انتهاء العام حتى هرول إلى هذه الجزيرة فوجدها جنة عالية ، قطوفها دانية ، تجرى من تحتها الأنهار ، وتؤتى أكلها كل حين بإذن ربها العزيز الغفار .

ثم قال رضى الله عنه : فمن يكون إذاً هذا الإنسان ؟ وبماذا ينطق هذا

المثل يا أهل العرفان؟ ثم قال رضى الله عنه بعد أن سكت الجميع : إن هذا المثل ليصور لكم حياة الإنسان فى دائرة هذا الإمكان ، فالسفينة بطن الأم ، وتحطيمها على الشاطىء حالة الوضع ، والملك المولود الجديد، ألا ترى النساء يزغردن ويضربن بالدفوف والرجال من ورائهن يرقبون البشرى وعلى قدم الاشتياق إلى سماعها فى صفوف ؟ ثم يخرج الطفل عريانا فيكسونه بكل نفيس وغال ، ويطعمونه أشهى ما يكون من الرزق الحلال ، ثم ما زالوا يكرمونه حتى يبلغ الرشد ويتم له حسن المال ، فإن كان شريرا ألقته ذنوبه وآثامه فى الهاوية، وإن نشب مفطورا على الخير أنجاه اللّه من هذه الداهية ، فحمد آخرته بعمل صالح فى دنياه، ليطيب له العيش فيها ولا ينفك طول وقته ذاكرا شاكرا اللّه ، الذى لا يسأله غير رضاه، وحسن لقاه .

مواضع العبرة والعظة فى هذه القصة

إن قصة (الحاج العراقى) ، تكشف مسيرة الإنسان فى الحياتين والنشأتين ، فإن القادر الحكيم سبحانه وتعالى جعل حياة للدنيا فقط وهى حياة الحيوانات ، وحياة للدار الآخرة فقط وهى حياة الملائكة ، وحياة للدنيا والآخرة وهى حياة الانسان.

فالانسان هو المخلوق المؤهل لنيل السعادتين ، فهو يحيا حياتين .. حياة دنيوية ، وحياة اخروية . وهاتان الحياتان إما أن تكونا فى رغد وسعادة (كما حدث للحاج العراقى) ، الذى فهم حكمة إيجاده ، وسر إمداده . أو تكون إحداهما حياة سعيدة ، والأخرى حياة عناء وشقاء . أو كلا الحياتين فى شقاء وعناء .

فالإنسان إذا منّ الله عليه ، وجعل له نوراً يذوق به لذة حياة الضمير وحلاوة الحياة الروحانية ، وإنكشف له قبح الملاذ الحسية ، وألام الحياة الحسية المجردة عن لذة النفس بحياتها الروحانية ، كان إنساناً كاملاً بمعناه ، متلذذاً بنعيم الحياتين ، متنعماً بخيرى الدنيا والآخرة . خاصة إذا علم الإنسان أن العمر هو المسافة بينه وبين ربه ، وأن الزمن هو المراحل التى ينتقل منها إلى حضرة الرب سبحانه ﴿ إن إلى ربك الرجعى ﴾ .

تم بحمد الله وحسن توفيقه

الفهرس

الموضوع	رقم الصفحة





تطلب جميع مؤلفات الإمام المجدد السيد محمد ماضى أبو العزا
من دار الكتاب الصوفى ١١٤ ش مجلس الشعب